كتاب
الحجج البهية

﴿لأبي الفضائل الجرفادقاني﴾

﴿الطبعة الاولى﴾

(فى سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م)
(وذلك باجازة المحفل الروحانى المركزى بمصر)

(طبع على نفقة الرحالة البحاثة عن الاسفار النفيسة)
محيي الدين صبري الكردي



﴿ صورة المؤلف حضرة أبو الفضائل ﴾

كتاب

الحجج البهية

﴿لأبي الفضائل الجرفادقاني﴾

﴿الطبعة الاولى﴾

(في سنة ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٥ م)

(طبع على نفقة الرحالة البحاثة عن الاسفار النفيسة)

محيي الدين صبري الكردي

طبع بمطبعة السعادة

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الابرار * انى احمد اليكم ربّنا البهىّ الابهى * واتحف أفضل التمجيد والثناء . على جماله الانور الاقدس العلىّ الاعلى . واصلّى واسلم على الفرع الكريم . المنشعب من الدّوحة العلياء . السدرة المباركة المغروسة فى قطب جنة المأوى . مولى الورى . ومليك قلوب أولى النهى . لازالت قلوب الاخيار متوجهةً اليه . ورقاب الابرار خاضعة لديه . مادامت الشمس بازغة من السماء * وطيور القدس مغرّدة بأناشيد الحمد والثناء .

﴿ وبعد ﴾ فقد صدر مثال كريم من السّاحة المقدسة ان اصنّف لكم كتابا فى حل رموز الكتب المقدسة السّماوية . وتفسير غوامض آيات الصحف المطهرة الإلهيّة . فأكشف عن مخبآتها . وأبين معانى استعاراتها . وأفتح ختومها ورموزها . وأظهرُ مخازنها وكنوزها . لتتلألأ جواهر أسرارها . وتتجلى فرائدها وابكارها . فلعمركم أيها البررة الكرام . لقد هزّنى واطربنى ذلك الخطاب المجيد .

وقوّاني وشجّعني وصول هذا المثال الحميد . على القيام بامتثال هذا الامر المبارك الرّشيد. وتذليل صعوبات جمة تحول دون تحقق هذا العمل الخطير الشّديد . فان تلكم الزّبر والاسفار . والصُّحف والآثار . جميعها أناشيد تغردّت بها طيور القدس في محامد ربنا الابهى . ومزامير تغنت بها ورقاء الانس في علائم ظهوره الاحلى . ومثاني وآيات نطقت بها السنةُ الانبياء في أشراط ساعة قيامته الكبرى . واغان شدت بها في مجامع أهل التقديس للتنصيص على مشرق انوار عهده وميثاقه الاعز الاعلى. فما أطيب ذكرها وتقديرها . والذ حلاها وتفسيرها وما أبهى رسمها وتحبيرها . وأحلى شرحها وتعبيرها . اذهي هي ميقات انقضاء الدهور . واشراق آفاق الارض مشارقها ومغاربها بانوار الرب الغفور . وتبديل الظلمات بالنور . والاحزان بالسرور والحبور . وبها تفرح القلوب وتطمئن النفوس وتقرّ الاعين وتنشرح الصدور . فها نأخذ القلم ونشرح في المقال . متكلين على الله تعالى في جميع الاحوال. ونتضرع الى حضرته العلية أن يسهل علينا ختم هذا الامر الجليل . واتمامه في أسرع حال . وأكمل مثال . ونقدم بين يدي احبائنا مقدمات لتكون لهم عونا على فهم تلك المعاني المخزونة المكنوزة . والمقاصد المختومة المرموزة . من قديم الدهور والاجيال *

المقدمة الأولى

﴿ فى بيان معنى يوم الله وتحقق الساعة الكبرى على وجه الاجمال ﴾

يا أهل البهاء وأصحاب السفينة الحمراء . اعلموا ايدكم الله تعالى بروح منه انكم لو سرّحتم أنظاركم فى الكتب السماوية وامعنتم التبصر فى بشارات الصحف المقدسة الالهية لترونها متفّقة فى التبشير بمجيء (يوم الله) والاخبار بورود ساعة يتجلّى فيها (وجه الله) فيتنور بمجيئه اقطار الارضين والسماوات * ويتبدّل بقيامه جميع الاوليات . وتزول وتمحى به كافة المحن والبليات . وخلاصة ماجاء فى تلك البشارات هى انه لما عمّ الجور والظلم فى جميع العالم : وأشتدّ الحرج والضيق فى جميع الامم . واتسعت وتفاقمت اختلافات المذاهب والاديان . وتضعضعت وانفطرت سماء عبادة الرّحمن . واشتد كَلَبُ الناس فى اغتصاب النفوس والاموال . وعمّت الشدائد والاهوال . حينئذ يقوم مبشّر الهى . وينزل روح مقدّس سماويّ . فينادى باقتراب ظهور الربّ الموعود . ويبشر بقرب طلوع نير جماله المحمود . فيمهد الطريق ويقرّب القلوب . ويشفى الصدور . ويزيل الكروب . ثم يقوم الرب المجيد . وينادى نداء يزلزل اركان هذا الصرح المشيد . ويصرخ

صراخا يملأ أرجاء هـذا الفضاء الرحيب . ويدعو الامم فى شرق الارض وغربها الى الله العزيز الحميد . ويشرّع لهم الشرع الجديد وينهج لهم المنهج الواضح السديد *

ثم بعد غروب شمس جماله . وركود نسيم وصاله . يقوم الفرع الـكريم . المنشعب من دوحة ذاته . ويطلع البدر الساطع من أفق سماء أفضاله . ويجلس على كرسىّ جلاله وينشر أنوار ديانته . ويبنى هيكل عبادته . وينفذ كلمته المقدسة فى جميع الآفاق . ويتم اشراق الارض بنور ربها فى يوم التـلاق . فبقيام تلك النفوس الالهيـة . واشراق تلك الانوار السماوية . تنقشع سحب العقائد الخرافيـة وتتجلى درارى الحقائق العلمية . فيزول به اختلاف الاديان . وتتحد الامم على عبادة الرحمن . وتمحق وتمحى به عبادة الشيطان . ويجدد الرب يومئذ كل الاشياء . فيتغير به الامور فى جميع الانحاء . فتبتهج به أقطار الارض . وتعم المعارف والعلوم والمهن والفنون بين جميع الخلق . وتتقارب أبعاد العالم وتتآلف القبائل والامم . فتزول الاحن والاحقاد الـكامنة فى الصدور . وتعم المحبة والولاء والتقرب والاخاء بين الجمهور . وتبتهج النفوس من مرور نفحات السرور . وتطرب القلوب بهبوب نسائم الحبور . ويبيد الرب بقدرته آثار الظلم والجور والطغيان . وينشر مآثر العدل والانصاف والاحسان . فيقضى بين الامم . وينصف للشعوب . ويهذب النفوس ويؤلف بين القلوب .

فينصرم عهد الغارات . وتنقضي أيام الحروب . فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل . فلا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يثير قوم على قوم حربا *

وخلاصة القول إنه تمر نفحات النشور وتهب نسائم الحياة فتحيا الاموات . وتزول الظلمات الاوليات . وتتألق أنوار الفضائل الحقيقية وتسمو المعالم الانسانية في جميع الجهات . وتشرق أقطار الارض مشارقها ومغاربها بانوار رب الارضين والسماوات . هذه هي بعض خصائص (يوم الله) والمآثر المحتومة في عصر ظهور الله . تلوناها عليكم . وأتحفناها اليكم ولو تنظرون اليها بنظر التبصر والامعان لترونها حقيقة واضحة منصوصة في جميع الصحف والاسفار . مكتوبة بقلم الله تعالى في سابق القرون والاعصار . والعقل المنير يحكم أيضاً بوجوب تحقق تلك الوعود . وبلوغ العالم الى غاية الصعود . فانّ عالمنا هذا كما انه كرويّ من حيث الصورة والخلقة والحركة الوضعية . كذلك كرويّ بحركته الطبيعية من حيث الصعود والنزول والتقدم والتأخر والترقي والانحطاط الى أن يأذن الله له بالزوال . ويقضي عليه بالاضمحلال . وهذا هو ما عبر عنه المتألهون بقوسي الصعود والنزول لدائرة الانشاء . والفلاسفة بناموسي الانحطاط والارتقاء .

فلما كان العالم في دهرنا هذا على سلم الارتقاء . كما هو مسلم عند الفلاسفة والحكماء . فلابد له من الوصول الى نقطة الاعتدال . وصعوده الى أعلى

درجات الكمال . وحاشا الحكمة الالهية . والقدرة الباهرة الربانية . من ان تترك اوراق كتاب الكون منشورة . وصحيفة الخلق مبتورة وارض القابليات بائرة . واشجار الانسانية غير مثمرة . فلابد من بلوغ نوع الانسان الى المقصد الاسمى . والغاية القصوى . والرتبة العالية . والمقام الاعلى – وهذا ما عبرت عنه الحفظة بالنشأة الاخرى .

ثم لو سرحتم انظاركم يا أهل البهاء الى آفاق الخلق لترون أن اقطار العالم القديم باجمعها من مدة مجهولة الابتداء كانت مغمورة بالعبادات الباطلة الوثنية من صابئة وبوذية وبرهمية . وكانت ظلمات الاوهام والخرافات مستولية على كل الانحاء . وغبرة العقائد والعوائد الباطلة متراكمة على جميع الارجاء . لان الامم المذكورة لما جهلت المعاني المقصودة الاصلية من الالفاظ الواردة فى الكتب السماوية من قبيل الصعود والنزول والعود والرجوع والسماء والارض والشمس والقمر والنجوم والبعث والحشر والموت والحياة وكثير من امثالها مما دارت على السنة الانبياء منذ القدم . ولهج بها لسان الله منذ تأسيس العالم . وحملوا تلك الالفاظ على المعاني الظاهرية . وقعوا فى وهدة العقائد الخرافية والعوائد الباطلة الوثنية . من قبيل تناسخ الارواح . وتبدل الاشباح وعبادة النجوم والحيوانات والاشجار واستخدام الجن وتسخير الارواح وغيرها من الاعمال المهلكة والعقائد المدمرة كما هو معلوم – للمؤرخ البصير . والمتفحص الاثرى الخبير . فكأنما كانت ظلمات العقائد

الوهمية الخرافية مستولية اذ ذاك على كل الاطراف . وغمامُ العوائد المهلكة وقتامُ الافعال المدمرة متكاثفة على جميع الآفاق . وستائرُ الشبهات مسدولة على كل الاكناف. فكانت الارض فى الطول والعرض مغمورة بظلمات بعضها فوق بعض ـ لذا عبر الانبياء عليهم السلام عن تلك المدة الطويلة بالليلة الليلاء: وعن مدة زوالها بالضحى والنهار اذا تجلى .

وكان السيد العظيم . موسى الكليم أوّلَ من قام فى ذاك الليل المظلم البهيم . وبشر شعب بنى اسرائيل بانقضاء هذا الليل الطويل: وورود يوم الله الجليل . وعرّفهم وحدانية الله • وعلّمهم كيفية عبادة الله • ورسم فى قلوبهم انتظار مجيء يوم الله . وبين لهم آثارَهُ وآياته وأشراطه وعلاماته. وظهر فى تلك الايام الغابرة ابراهيم الملقب بزردشت فى أقطار ايران • وعلم الامة الفارسية عبادة الرحمن • وأزال من بينهم عبادة الاوثان • وبشرهم بورود الساعة • وذكرهم بمجيء القيامة • وبين لهم علائمها وأشراطها • وأظهر لهم ميعادها وميقاتها إلاّ أنّه صرّح لهم بان شمسَ جمال الموعود تطلع من الآفاق الشرقية والشجرةَ المباركة انما تنبت من الدوحة الاثيلة الفارسية • ولكن لما كانت الظلمة اذ ذاك غالبة على النور • وساعات الليل البهيم بعيدة عن مطالع الظهور • دخلت العقائد الباطلة الوهمية . والعبادات المهلكة الوثنية أيضاً بين الامة العبرية . والملة الفارسية ـ فهذه مزّجت عبادة الله بعبادة النار وتلك خلطت ديانة التوحيد بعبادة الاوثان

فامتزجت ملوك يهوذا وأفرائيم بالامم العريقة فى الوثنية . كالامم المصرية والفينيقية والآشورية . والكلدانية . واليونانية . حسب استيلائهم على بلاد فلسطين وسكانها . فانقاد العبريّون لقوانين تلك الدّول وأطاعوا سلطانها . واتبعوا شيطانها . وعبدوا اوثانها الا أن أنبياء بنى اسرائيل كداود . وأشعيا . وارميا . ودانيال وزكريا . وأمثالهم عليهم السلام . كانوا فى مدة ألف وخمسمائة عام يذكّرون الشعب بمجىء يوم الله ويجددون فى قلوبهم آمال ظهور الله . فكانوا فى دورهم كنجوم بازغة متألقة من أقصى أفق السماء . أو كسرج مشتعلة مضيئة فى الليلة الكالحة الظلماء . وتتابعت الاجيال على هذا المنوال الى أن قام المنقذ المخلّص الجليل . وطلع النجم الدرّى من أفق بلاد الجليل وتألق كوكب الابن بين احفاد الخليل . وارتفعت نغمات الانجيل . واقترب حلول المصائب على بنى اسرائيل . فقام سيدنا عيسى له المجد والعلى . ونادى باعلى النداء (توبوا فقد اقترب ملكوت الله) تنبهوا واصحوا فقد دنت ساعة مجيء سلطنة الله . طوبى لاصحاب القلوب النقية فانهم يعاينون الله . طوبى لصانعى السلام فانهم يدعون ابناء الله . وهكذا مدة ايام حياته كان يذكرهم بقرب ورود اليوم الموعود . ويجدد ويقرر ما بشر به انبياء بنى اسرائيل من علائم ظهور جمال المعبود . الا انه بشرهم بانه يومئذ يجلس على يمين عرشه . ويتولى انفاذ أمره . ويستولى على كرسىّ مجده . ويصير راعى اغنامه باذنه *

فكان اله المجد مناديا باقتراب الساعة العظمى . والقيامة الكبرى *
الى أن صعد الى الرفيق الاعلى . فقام القديسون على انفاذ امره *
واعلاء كلمته . حتى تنورت من أنوار أمره الاقطار الاوربية . وتطهرت
تلك الارجاء عن أدران الوثنية . وتتابعت الايام نحوا من ستماية عام
الى أن انفجر ضياء الصبح من الآفاق العربية . وانتشر نور الفلق من
الاقطار الحجازية . فظهر أعظم أشراط الساعة . وتجلّت أكبر آيات
القيامة . فقام خاتم الانبياء . وسيد الاصفياء . عليه التحية والثناء
والنور والبهاء . ونادى بأعلى النداء (اتى أمر الله فلاتستعجلوه)
وارتفع صوت من السماء (اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون)
فصرّح بانقضاء الليلة الليلاء واقتراب طلوع شمس الحقيقة من الافق
الاعلى فاهتدى بنور كلمته . وقوة رسالته . امم عظيمة . وشعوب كبيرة
من أقاصى افريقيا الى الشرق الاقصى من الذين كانوا لا يعرفون
شيئا من التوحيد . ولم يذوقوا رشحة من معين التفريد وكانوا
ينكرون الانبياء . ويكذبون الاصفياء . فاخرجتهم الكلمة المحمدية
والشهادة النبوية من ظلمة الوثنية . الى نور عبادة الله . ومن انكار
الانبياء الى الايمان بهم من آدم الى عيسى روح الله . وبشرهم بمجيء
يوم الله * وأخذ منهم عهد نزول الروح من سماء أمر الله * ولكنه عليه
السلام صرّح ونصّ على أن المهدى الذى يقوم قبل نزوله . ويهيئ
له الطريق قدام مجيئه . انما يظهر من العترة الطاهرة النبوية * ويتولد

من السلالة الكريمة العلوية فيملأ الله به الارض قسطا بعد ماملئت ظلماً * وينور به الآفاق عدلا بعد ماأظلمت جورا * فدونت به كتب الاخبار والبشارات وملئت الصحف من العلائم والامارات *ودارت أرض المعارف على هذا المحور مدة ألف ومائتين وستين عاماً الى أن دنت الساعة وجاء الميقات فطلع نجم الهدى * وأشرق كوكب التقى وانفجرت ينابيع العلم فى أطيب أرض من الاراضى الشرقية واشتعلت سدرة الفضل فى مدينة شيراز * حاضرة المملكة الفارسية * فقام الباب الاعظم * وبشر القبائل والامم * ونادى بانقضاء الليل البهيم وأخبر وصرّح بورود يوم الله الرهيب العظيم * فارتفع النداء بين الارض والسماء * بشرى بشرى فقد تنفّس صبح الهدى * وعسعست الليلة الليلاء * وحان طلوع جمال الله الابهى * وجاء ربيع رجوع الحقائق فى النشأة الاخرى * فاضطربت الآفاق من هذا النداء الاحلى وقامت القيامة من هذا النبأ الاعلى * فهبت عواصف الظلم * وهاجت زوابع الحقد فى صدور أهل العلم * فاطفئت الشعلة النورانية * وانقطعت النفحة الروحانية * واستشهد جمال الرحمان * فى مدينة تبريز حاضرة آذربايجان * بفتوى نفس اثيمة شيطانية . فبدت مصائب ومحن * وظهرت احقاد واحن * واشتدت أعاصير الفتن * حتى جاء الميقات وبدت آيات ورود (يوم الله) فى كل الجهات ــ حينئذ طلعت شمس جمال الموعود واشرق واضاء نيّر وجه المعبود * وأتت الساعة . وقامت القيامة ونفخ

فى الصور . ولاح فجر الظهور . فقام بهاء الله الابهى وظهر جمال الله الاعلى . ونادى بنداء ملئت منه الآفاق * وارتعد السبع الطباق * قد أتى الرب الموعود . وظهر جمال المعبود * وطلع يوم الله المعهود * وجاء أمره المبرم المحمود * ونزل الرب فى ظلل السحاب * واشرقت الارض بانوار وجه ربها الوهاب * وامتد الصراط * ووضع الكتاب * وزال الحجاب * وكشف النقاب * فهطلت امطار الآيات * وأزهرت وأورقت غصون العلم فى كل الجهات * وقام الاموات * وحشرت الرفات * فجرت من قلمه الاعلى أنهار المعارف والعلوم * وفك باصابعه الكريمة ختم الرحيق المختوم * فبين فى ألواحه المقدسة حقايق كلمات الانبياء * وكشف فى صحفه المكرمة معانى استعارات الاصفياء حتى انفض جميع أختام المرسلين * وظهرت لاصحاب القلوب النقية حقائق مقاصد النبيين * وشرع شرعا جديدا تجتمع عليه القبائل والملل وأبدع أمرا مجيدا تآلف به أصحاب الاديان والنحل * فأمر أولياءه واحبّاءه بمحبة كل الامم * وحثهم على خدمة جميع أهل العالم * وشرع لهم كيفية العبادات . من قبيل الصوم والصلوة والحج والزكاة * وغيرها من المناسك والعادات * ونهاهم عن المعاصى والموبقات * من قبيل القتل والزنا والسرقة والغيبة والكذب والافتراء * وغيرها من المنكرات والمكروهات * وأمرهم بالرضوخ لقوانين الدول . فرضهم على إطاعة الملوك والامراء * واحترام الخيرة من العلماء * وحثهم على تعميم المعارف

وتربية أولادهم من الاناث والذكور * ونهاهم نهياً أكيداً عما يحدث الجفاء والنفور بين الجمهور * فمنعهم عن السبّ واللّعن والشتيمة والنزاع والجدال * وعن كل مايوجب تشتيت القلوب . وتتكدر به النفوس حتى نهاهم عن حمل السلاح بدون اذن الحكام * وعن كل مايحدث الخلل فى النظام *

وفى أواخر أيامه كتب بأنامله الكريمة (كتاب العهد) ونص وصرّح فيه على مركز الميثاق * وهدى الشعوب الى نير الآفاق * وحرّض أولياءه فيه ثانياعلى محامد الاوصاف ومكارم الاخلاق . حتى أوجدفى أوليائه نفوسا طيبة مهذبة . وأظهر فى سماء امره نجوما بأزغة مشرقة * وهكذا هطلت غيوث آياته وتتابعت أمطار ألطافه * الى أن دنا أوان الاغتراب . وتوارت شمس الحقيقة فى حجاب الغياب . وصعد الرب الى مقرعزه الاقدس الاعلى *وغابت حقيقته المقدسة فى هوّيته الخفية القصوى * وكانت هذه الحادثة القاصفةوالنازلة القاصمة فى ثانى شهر ذى القعدة من سنة (١٣٠٩) من السنين الهجرية * وسادس عشر شهرأ يارمن سنة (١٨٩٢) من السنين الميلادية * فلما غربت شمس الهدى * وسكن حفيف سدرة المنتهى * طلع نير الميثاق * وبدا بدر العهد فى غاية السطوع والاشراق * وقام الفرع الكريم . المنشعب من الاصل القديم . لانفاذ كلمة مالك يوم التلاق* وهو يصيح وينادى فى جميع الآفاق * أتى أتى أمر الله. اجيبوا اجيبوا

داعى الله * اسمعوا اسمعوا نغمات الله * تعرّضوا تعرّضوا لنفحات الله تنوّروا تنوّروا من أنوار وجه بهاء الله * قدتم وعد النبيين * وكملت بشارات المرسلين . وجاء (يوم الدين) وقام الناس لله رب العالمين * فلما هبت نسائم العهد * وأرّجتْ وفاحت نفحات الميثاق . وتطايرت الصحف المطهرة وانتشرت وتناثرت فى جميع الآفاق . انتثار أوراق الورد فى الرّبيع وانتشار النور فى الاشراق * فأحييت النفوس وانشرحت الصدور وآمنَت الربوات والالوف * وقام مَنْ فى القبور * حينئذ بدت علائم النقض فى وجوه أهل النفاق . وظهرت طلائع النكس فى صفوف أصحاب الشقاق . فالتفت الساق بالساق . وغارت الاعين فى الاحداق . وطالت الاعناق بالنعاق . فسقطت نفوس واقتضبت غصون فى هـذا المساق * فامتازت أصحاب الشمال من أصحاب اليمين . وتميز السجين من العلين . وافترق أصحاب الشبهات من أهل اليقين * فطوبى للفائزين * وبشرى للموقنين *

ثم لو سرّحتم أنظاركم يا أهل البهاء . وأصحاب الوفاء . ثالثا فى نفس بشارات الانبياء * وكلمات الاصـفياء * لترون ان جميع من ذكرنا اسماءهم قبل ظهور بهاء الله من سيدنا موسى الى الباب الاعظم ما ادعى أحـد منهم أن ظهوره هو ظهور الله المزمع أن يأتى ويصلح العالم * ويومه هو يوم الله الموعود لاتفاق القبائل والامم * نعم إن الانبياء والرسل كما سنوضحه فى مبحث التوحيد ان شاء الله تعالى كلهم مظاهر حقيقة

واحدة إلا أن المناط فى خصائص كل نبىّ أو مظهر من مظاهر أمر الله انما هو مشخصاته الخصوصية وهو مقام الظهور لا البطون * ومقام التجلى لا مقام الذات حيث إن الذات غيب فى حقيقتها غير مدركة فى كنهها وماهيتها * فلا بد من أن ينظر الطالب المجاهد فى فهم هذه المسألة فيما أظهره كل نبىّ لبيان مقامه فى كتابه . وخصص لنفسه من أسمائه وألقابه *

أما موسى وأنبيـاء بنى اسرائيل عليهم السلام * فهذه الحقيقة ظاهرة فى كتبهم وبشاراتهم * فانكم لو تفحصتم فى كتبهم المجموعة فى العهد القديم لترون أنه ليس فيها بعد ذكر الحدود والاحكام وبعض نبوات متعلقة بصور وصيدا ومصر وامثالها الاّ نبأ واحد عظيم * وخبر مهم جسيم * وهو أن سلطنة بنى اسرائيل تزول وتنقرض من الارض المقدسة * ويتفرق الشعب فى أقطار الارض ويذوقون فيها مرارة الذل والهوان * ويكابدون مشقات عظيمة * ومصائب جسيمة * فى جميع الممالك والبلدان * وتطول أيام مصائبهم وآلامهم * جزاء معاصيهم وآثامهم * الى أن يأتى الرب المجيد * ويخلصهم من هذا الذل الشديد . ويرجع سبيهم ويجمع شتاتهم . ويسكنهم فى منازلهم الاولية * ويغرسهم فى منابتهم الاصلية * سكونا لا يعقبه التفرق والزوال * وغرسا لا يعتريه القلع والاستئصال * فلا يرى كتاب نبى من الانبياء الاّ وفيه انذارات واضحة بحلول الذل الطويل على بنى إسرائيل * ثم يتلوها تبشيرهم بورود يوم الرب الجليل * وانقاذهم من العذاب الوبيل *

فلم يسمع من الكتب المحفوظة فى العهد القديم الا أناشيدَ طيور القدس فى ظهور الرب الكريم * وهديرَ حمامات الانس فى أشراط ذالك اليوم العظيم . وتخليص بنى اسرائيل من العذاب الاليم * فلا يمكن والحالة هذه أن يحسب ظهورهم ظهور الرب الموعود * ولاأيامهم يوم الرب المحمود *

وأما المسيح له العز والمجد . فما ادعى ان ظهوره هو ظهور الله * بل ذكر بأنه ابن الله * ولم يدع أن يومه هو يوم الله * بل صرّح بانه مبشر لمجيئه واقترابه كما يدلكم عليه صريح كتابه (توبوا فقد اقترب ملكوت السماء) وما بشر بنى اسرائيل بالعزة والملك * بل أنذرهم بقرب حلول الذل الطويل * والدمار الوبيل * كما هو ظاهر من عباراته الواردة فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر متى من اسفار الانجيل . قوله (يا اورشليم يا اورشليم ياقاتلة الانبياء وراجمة المرسلين . كم من مرة أردت ان أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها فلم تريدوا هوذا بيتكم يترك لكم خرابا فانى أقول لكم انكم من الآن لاترونى حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب) ومن يتفحص ويمعن النظر فى عبارات الانجيل ورسائل الرسل يرى أنها منطبقة تمام الانطباق على ماجاء فى كتب أنبياء بنى اسرائيل من التبشير بمجىء يوم الله وأماراته وحوادثه وأشراطه فلا يمكن أن يفسر على ظهوره (ونعنى به ظهور الاول) عبارات أنبياء بنى اسرائيل فى

تبشيرهم بمجيء يوم الله الجليل . وإشراق الارض من أنوار وجهه الجميل. وتخليص أحفاد الخليل ـ من الذل الطويل *

وأما سيدنا الرسول عليه السلام فالقابه الشريفة نبيّ الله * ورسول الله وخاتم النبيين . وسيد المرسلين * تدل دلالة صريحة بان ظهورَه ليس ظهور الله * ويومَه ليس يوم الله * وهو الذى أمر المسلمين أن ينادى كلّ فرد من الافراد كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله) على أن ثلث القرآن هو بشارات اقتراب مجيء يوم الله * وأمارات قرب ورود أمر الله *

وأما الباب الاعظم والمبشر الافخم : النقطة الاولى . والمثال الاعلى عز اسمه الاعز الاسمى . فيكفيكم انه لقب نفسه المقدسة باسم الباب . اذ يشير هذا اللقب الى أنه باب ظهور الله * وأخبر عن قرب مجيء الموعود باسم من يظهره الله * وأشار بل صرّح فى الباب الثالث من الواحد السادس من كتاب البيان بان حضرة الموعود يظهر بعد انقضاء تسعة عشر عاما من قيامه المحمود * وكذلك صرّح فى البيان بانه قام لتسديد الطريق بين يدى ظهور الله . وتمهيد السبيل لمجيء منْ يظهره الله . فلا يمكن والحالة هذه كما بيناه واضحا جليا الا أن يكون المراد من بشارات الكتب المقدسة السماوية * والصحف النازلة الالهية * هو ظهور بهاء الله الابهى . وقيامه الاقدس الأعلى * فانه جلّ ذكره وعزّ اسمه هو وحده ادعى أن ظهورَه هو ظهور الله الموعود * ووجهه هو وجه الله

المعبود . ويومه هو يوم الله المعهود . فالفطن من يمعن النظر فى هذا الامر الاعلى . والمقصد الاسمى . فان الى الله المنتهى . وهو ربّ الاخرة والاولى *

المقصد الثانية

﴿ فى بيان معنى التوحيد واختلاف الملل فى فهمه وطريق اثباته ﴾

يا أهلَ البهاء . نوّر الله بصائركم بالأنوار الساطعة من بهاء وجهه . اعلموا أنّ الاممَ بأجمعها اتفقت فى الاعتراف بوحدانيـة ذات الله تعالى وان اختلف العلماء فى فهم معناها . وبيان مفهومها . فان الامم الوثنية معترفة ومعتقدة بوحدانيـة الله تعالى وفردانيته . كما تعتقد وتعترف بها الامم اليهودية والنصرانية والاسلامية. فانكم لو تسألون ايَّ بوذيّ أو برهميّ أو صابئيّ من الامم الوثنية عن الله تعالى ليجيبكم بلا تأمل وتلعثم بان له الهاً واحدا جامعا لجميع أوصاف الكمال. منزها مقدسا عن جميع صفات النقص . وأن أوثانهم ومعبوداتهم ليست الا مظاهر تلك الذات المقدسة . ومطالع تلك الحقيقة الواحدة. ووسائط الاستفاضة من الفيوضات الالهية . وروابط العبادة للهوية الغيبية . وتلك الاوثان والمعبودات . كما يعرفه علماء الآثار والاكتشافات . ليست الاّ رسوم رجال قاموا فى الازمان الغابرة . وشرعوا ادينا أو عملوا

عملاً جليلا لتلك الامم العتيقة . وقد وضعت فلاسفتهم وعلماؤهم أو كهنتهم وفقهاؤهم اولا تلك الرسوم والتماثيل فى معابدهم وبيوتهم تذكاراً لهم وتخليدا لذكرهم ووفاء لحقوقهم . واكراما لنفوسهم . فانتهى الامر اخيرا الى أن أدخلوا زيارتها واحترامها فى عباداتهم . وصارت عبادتها ركنا عظيما فى دياناتهم *

ثم اختلقت بطول الازمان أوهامهم لها ولعبادتها امورا عجيبة . وخواصاً عظيمة . من الآثار والكرامات . كما هو الشأن عند عوام كل المذاهب والديانات . وخلاصة القول أن تعدد الآلهة عند الوثنيين لاينافى اذعانهم بوحدة ذات الله تعالى كما ان تعدد الاقانيم عند النصارى لاينافى اذعانهم بوحدانية الله تعالى وفردانيته فان الامم النصرانية متفقة على الاذعان بوحدة ذات الله تعالى ـ مع اذعانهم بتعدد الاقانيم واختلافها فى الاسماء والمفاهيم *

ويظهر من الكتب المقدسة انّ الصابئة الاولى كانوا يعبرون عن الرجال الروحانيين عندهم بالآلهة . وبعبارة أوضح أن من يعبرُ عنه النصارى بالقديس . والمسلمون بالولىّ كانت الصابئة تعبرُ عنه بالآلهة . فالمقصود والمعنى من لفظ الآلهة عند الوثنين هو عين معنى لفظ القديسين عند النصارى . وأولياء الله عند المسلمين . ويدلّ على ذلك ماجاء فى الاصحاح الثامن والعشرين من كتاب اعمال الرسل ان حيةً التفت بيد بولس الرسول فى جزيرة مالطه فلما لم يتضرر

بولس من اسمتها قال فلاحوا الجزيرة (هو اله) يعنون انه وليّ من أولياء الله ــ أو قديس من القديسين حيث شاهدوا منه هذه الكرامة الواضحة ــ أو الاعجوبة الظاهرة . كما هو الشأن عند أهل القرى والارياف فى أزماننا الحاضرة . ويشير الى هذا المعنى ماجاء فى الآية الاولى من مزمور (٨٢) من مزامير داود حيث قال (الله قائم فى مجمع الله ، فى وسط الآلهة يقضى) يعنى ان الله تعالى يقوم ويحكم ويقضى فى مجمع القديسين . وهذا منطبق تمام الانطباق على ماجاء فى مواضيع شتى فى الكتب المقدسة من ان الله تعالى يظهر فى ربوات قديسية كما سيوضح ان شاء الله ــ وكذلك ماجاء فى الآيتين السادسة والسابعة من هذا المزمور (أنا قلت إنكم آلهة وبنوا العليّ كلكم . لكن مِثْلُ النّاسِ تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون) وهذه الآية أيضا صريحة فى أن المراد بالآلهة هو القديسون فان تفسيرَها هو ان الله تعالى أراد ان يكون الذين اصطفاهم لنفسه من أهل التقوى والتقديس ، واختارهم ليكونوا من أوليائه وأصفيائه. إلا انهم سقطوا فى الامتحانات بسبب أنهما كهم مثل سائر الرؤساء فى المهلكات والموبقات .والمراد من الآية المباركة رؤساء الفئة الناقضة . وقادة أصحاب الشمال الى هاوية الضلال . فانهم دُعُوا أبناء الله واصطفاهم ربّهم لنفسه فى يوم الله الاّ انهم سقطوا فى عهد الله . وانما تكلم داود عليه السلام فى هذا المزمور ــ الاخبار عن حوادث ظهور الله ،

ونزلت آياته فى شئون يوم الله . كما تدلكم عليه الآية الاخيرة من هذا المزمور حيث قال (ياالله قم ودن الارض فانك انت ترث جميع الامم) فمما بيناه ظهر جليا ان لفظة الآلهة عند الاقدمين كانت تطلق على معنى القديسين عند النصارى . وعلى اولياء الله عند المسلمين * وانما دخلت فى آيات الكتب المقدسة . ودارت على السنة انبياء بنى اسرائيل ايضا فى بعض المواضيع كما ذكرناه من عبارات الزبور لانها كانت اذ ذاك من اللغة الغالبة والمصطلحات الشائعة بسبب غلبة الامم الوثنية والملة الصابئية . وكلمات الله تنزل دائما على لسان القوم لتعميم الفائدة كما هو ظاهر لاولى الالباب . ومن عنده علم الكتاب *

والامة الاسرائيلية فى أوائل دورتها وبدء نشأتها أطلقت لفظ (النبى) على رؤسائهم الروحانيين لما كان شائعا اذ ذاك من تأويل الاحلام . والاعتماد على ما ألهموا به فى المنام . فان تلك الايام الغابرة كما ذكرناها فى المقدمة السابقة كانت من تراكم العقائد الخرافية . وظلمات معتقدات الوثنية . والبداوة الطبيعية . فى النشأة الابتدائية . كالليل المظلم والديجور الحالك . حيث كانت الديانات الوثنية مستولية فى تلك الايام على جميع الممالك والقارات فكانت الظلمات مستولية على جميع أقطار الارض ماعدا فلسطين من البلاد السورية . فانها كانت اذ ذاك مغرس دوحة النبوة والرسالة * ومبعث نور التوحيد والهداية * وبسبب استيلاء الظلمة على جميع

اقطار الارض كان الانبياء يعبّرون تلك الايام بالليل المظلم من ادوار عمر الدنيا • فاستعاروا لها لفظة (الليلة الليلاء) واطلقوها عليها في كلماتهم في مواضيع شتى ـ وبهذه المناسبة ايضا كان الوحي والالهام ينزل عليهم في الرؤيا • فاخذ تفسيرُ الرؤيا وتأويلُ الاحلام دوراً مهما في تلك الايام حتى أطلقوا على النبي لفظ (الرّائي) كما يظهر جليا من مواضيع من الكتب المقدسة فصارت لفظة (النبي) اسما عاما ولغة شائعة . وحقيقة ناموسية لمن كان يرى الرؤيا في الامة الاسرائيلية ومنهم انتقلت الى الامة العربية وشاع وذاع استعمالها في الديانة الاسلامية *

فممّا قلنا ظهر جليا إن الفاظ الآلهة عند الوثنيين . والانبياء عند بني اسرائيل . والقديسين عند النصارى . والاولياء عند المسلمين . انما أطلقت واستعملت لمعنى واحد وهو الرؤساء الروحانيون الذين اعتبرتهم الامم المذكورة أقربَ الناس الى الله تعالى وأكثرهم حظوة وقرباً لديه جل وعلا *

فاذا علم أن الامم اتفقت على وحدانية الله تعالى وان الآلهة أو الانبياء والقديسين والاولياء على اختلاف اللّغات والتعبيرات والاصطلاحات ما كانوا الا وسائط ايصال الفيوضات الروحانية من الحقيقة الواحدة الآلهية . وبعبارة أوضح ان هؤلاء الرؤساء لم يكونوا الاّ مظاهر القوة التشريعية السماوية . بين الهيئة الجامعة البشرية . فليُعْلَم

ان فرق العلماء من كل امة تفننوا فى بيان تلك الوحدة الذاتية للحضرة الإلهية. واختلفوا فى طرق اثباتها بالادلة العقلية أو النقلية أو الالهامية. أما الفلاسفة والحكماء من كل أمة فقد اعتمدوا فى اثبات وجود الواجب تعالى ثم اثبات وحدانيته وفردانيته على البراهين العقلية. والقياسات المنطقية والمتكلمون وأصحاب علم اللاهوت اعتمدوا على الادلة اللفظية والقياسات الخطابية المأخوذة بزعمهم من الكتب السماوية. كاعتماد احبار اليهود على عبارات التوراة. واصحاب علم اللاهوت من النصارى على عبارات الانجيل. وعلماء الكلام من المسلمين على عبارات القرآن. وكذلك سائر الاديان والملل. والمذاهب والنحل. اذلم يوجد دين من الاديان الا صرحت صحيفته السماوية بوحدانية الله تعالى وفردانيته وعلوه وتقديسه عن مشاركة مخلوقاته ومجانسة مبروآته. الا ان تلك الادلة العقلية أو اللفظية التى اعتمد عليها علماء الملل فى اثبات وجود البارى تعالى ووحدانيته وفردانيته لو فرضنا ان لها تأثيرا واعتبارا فى اثبات مقصودهم وسلمنا بانها تبرهن على حقية مطلوبهم لا تخرج عن حد الدلالة على وجود مطلق غير معين. وبعبارة اوضح ان تلك الادلة والبراهين لا تفيد العلم بالله بل تفيد العلم بوجود الله تعالى. والعلم بوجود الله غير العلم بالله عز وجل. والفرق بين العلم به تعالى والعلم بوجوده ظاهر لدى أهل النظر. والتفاوت الفاحش بين أصحاب هذين العلمين واضح عند أصحاب البصر. فان تمثل العالم بوجود الله تعالى وهو غير

عالم بالله انما هو كمثل انسان عالم موقن بوجود حجر كريم اسمه الياقوت ولكنه لا يعرف الياقوت أصلا ولا يميز بينه وبين سائر الاحجار. ولربما ينخدع هذا ويشترى حجرا دانيا رخيصا ـ اوزجاجة ملوّنة بدل الياقوت . ومثلُ العالم بالله كمثل من يعرف الياقوت حقّ المعرفة ويميز بينه وبين سائر الاحجار حق التمييز فلا يمكن ان يغترّ بتمويه الاشرار ولا ينخدع من الباعة والتجار ـ ولذلك كثيرا امّاضلت أقوام وانخدعت أمم فاتخذت الشياطينَ أولياء . وعبدت الطاغوت وكذبت الانبياء . فانه ماعُبِدَ الشيطانُ قطُّ الاباسم الرب تعالى كما انذرت به الآيات النازلة فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر متّى وصرّحت به العبارات الواردة فى الاصحاح الثانى من الرّسالة الثانية لبولس الرّسول الى أهل تساليا *

وأما أهل البهاء. وأصحاب السفينة الحمراء. الذين درسوا فنون حقائق التجريد من آثار القلم الاعلى . وتلقّوا دروس التفريد من حفيف سدرة المنتهى . وتعلموا مسائل التوحيد فى غرف مدارس الفردوس من ألحان ربهم الابهى . يعتقدون أن الله تعالى لما كانت ذاته غيبا منيعاً وكنزا خفيّا ومجرّدا بحتا فى حقيقتها وكينونتها وهويّتها فلا يمكن أن توصف بشيء من أوصاف الخروج والدخول . والصعود والنزول . والتحيز والحلول . والتستر والظهور . والغياب والحضور . والتحرّك والاستقرار . والمواجهة والاستدبار . وأمثالها من الصفات والنعوت

والخصائص والشؤن. لان تلك الاوصاف كلّهامن خصائص المادة والمادّيات .وهى مجردة عنها مباينة بالذات لها.مقدسة عن الاتصاف باوصافها منزهة عن التعين بنعوتها.فلا توصف بوصف ولا تسمى باسم ولا تشار باشارة ولا تتعين بارجاع ضمير . اذ منزع كل الاسماء والاوصاف والخصائص والنعوت انما هو ما يشاهد بالادراكات الحسية ويدرك بالحواس الخارجية . اذ لا سبيل للعقل فى ادراك الكليات الا استقراء الافراد وتتبع حالات الاشخاص ليتصورها وينتزع منها صورا كلية ومفاهيم عقلية .والمجرد لايدرك بشىء من الحواس الخارجية لينتزع منها تلك الصورة الكلية . فاذا استحال ادراك المجرّد بالحواس فيستحيل ويمتنع على العقل ان يعين له رسماً مخصوصا. ويخصص له اسما أو وصفا معلوما. فيرجع كلّ ما يتخيل فى هذا المقام الى الاوهام الخيالية . لا الى الحقائق القطعية . والادراكات الواقعية . ولذا جاء فى كلمات بعض أئمة الاسلام من فروع الدوحة النبوية . تبكيتا للذين كانوا يتكلمون فى الذات الآلهية (كلما ميزتموه بأوهامكم فى ادقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم ومردود عليكم)فاذاثبت انسداد طريق معرفة الذات واستحالة البلوغ الى ادراك كنهها . فقد خلق الله تعالى لظهور تلك الذات المقدسة والحقيقة المجرّدة نفسا كريمة من النفوس البشرية . وخصّص لبروز انوارها وآثارها جواهر نفيسا من الجواهر المقدسة الانسانية. ليكون عرشا لسلطان ذاته وأفقا لاشراق انوار تجلياته. ومُظهراً

لمكنون حقيقته . ومظهراً لغيب هويته . ومنزعا لاسمائه وصفاته . واسانا لتنزيل وحيه والهامه . ومصدراً لشرائعه وأحكامه . وصادعا بآياته وبيناته . ومبلغا لاوامره ورسالاته . وبه يظهر في الرتبة الاولى والمقام الاوّل علم الله وحكمته . وقوته وقدرته . وسلطنته وعظمته ووحدانيته . وفردانيته . وارادته ومشيئته . وجماله وجلاله . وفضله وكماله . ورحمته وافضاله . فهو المسمى بجميع الاسماء العزيزة النازلة في الكتب الالهية . والمقصود من الاناشيد النبوية . المضبوطة في الصحف السماوية . وهو روح الله النازلة . وكلمته الغالبة . ووجه الله الناظر ويده المبسوطة . ولسان الله الناطق . وعينه الناظرة . وهو اللوح المحفوظ والقلم الأعلى . والافق المبين . والمنظر الابهى . وهو العرش العظيم والكرسي الرفيع . وجنة المأوى . وسدرة المنتهى . وأيّاما تدعوا فله الاسماء الحسنى *

ولا بد ان يكون هذا الشخص المكرم . والانسان المفخم . والجوهر المصون والاسم الاعظم . كما أتت به الرسل والانبياء موجودا في كل قرن وزمان . ودور وأوان ليكون هيكل عبادة الله . وواسطة معرفة الله . لئلا تبطل حجج الله وبيناته . وبراهينه وآياته . ولا يخفى سبيل التوحيد والتفريد . ولا ينقطع عرف الانقطاع والتجريد . ولا ينسد باب الايمان والايقان . ولا ينتهي عاقبة نوع الانسان . الى الهمجية والخسران . والعقل الصريح يحكم بهذه الحقيقة أيضا اذ لا يعقل التعطيل في صدور

الافعال عن المجردات ويستحيل صدور الفعل عن المجرد الا بآلية الابدان العنصرية . كما هو ظاهر على من له المام بالبراهين العقلية. وأوتى بصيرة نيرة فى المعارف الالهية والطبيعية . ولا ينافى الوحدة الذاتية تعدد مظاهرها. فلا تتعدد الشمس بتعدد مطالعها. كما لا يتعدد روح فرد من أفراد نوع البشر بتكثر بدنه وتغيير جسمه وتبدل جوهر أعضائه فى أدوار طفوليته وشبابه . الى كهولته وانحطاطه ـ اذ المناط فى تحقق الهوية وثبوت الفردية هو وحدة الروح لا الجسد لما ذكرنا انه ليس للاجساد الا حكم الآلية للذوات. فلا تتكثر ذات الله تعالى بتكثر التجلى. ولا تتعدد الحقيقة الواحدة بتعدد ظهورها فى تلك المظاهر العليا. فالمراد من التوحيد هو معرفة تلك الذات الواحدة فى المظاهر المتعددة والمقصود من الايمان. والتفريد هو الاستنارة من شمس الحقيقة المنفردة فى المشارق المتكثرة • ولذلك ترى فى الكتب المقدسة كثيرا ما اعتبرت تلك المظاهر كنفس واحدة (١) باعتبار وحدة الذات والروح الالهى على تفاوتهم واختلافهم فى الاسماء والاجساد والامكنة والازمان . واعتبرت شرائعهم وأديانهم شريعة واحدة ودينا واحدا باعتبار وحدة الشارع والمقنن على اختلافها فى الحدود والاحكام والقواعد والآداب كما حكم الرّوح له المجد والاجلال على يحيى بن ذكريا عليهما السلام بانه

(١) كقوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر *وقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله *

هو ايليا النبي بهذا الاعتبار حيث قال (وان اردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع ان يأتي. من له اذنان للسمع فليسمع) ومثله جاء في الاصحاح الحادي عشر من انجيل متى. وامثاله كثيرة في الصحف الاولى والى هذه النكتة يشير ماقاله ذاك الرّسول المجتبى. والامام المرتضى بطرس الرّسول في الاصحاح الاول من رسالته الاولى حيث قال (وقد فحص الانبياء الذين تنبئوا على النعمة البالغة اليكم وبحثوا عن ذلك الخلاص واستقصوا في ماهية وكيفية الزمان الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم اذسبق فشهد بالآلام المسيح وبما يتلوها من المجد) فانظروا أيدكم الله كيف صرّح بان الرّوح الناطق في الانبياء هو كان عين روح المسيح له المجد والبهاء. وهذا أظهر دليل على وحدة تلك الحقيقة الغرّاء. وعدم تكثرها بتكثر اشراقها من تلك المشارق العليا *

وبهذه النكتة أيضا تغرّدت ورقاء الهدى وهدرت حمامةُ التقى من غصون سورة الشورى بقوله تبارك وتعالى (شرع لكم من الدين ماوصّى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه)

فانظروا وفّقكم الله كيف اعتبر في الآية الكريمة ديانات الصّابئة والزردشتية والموسوية والنصرانية والاسلامية دينا واحدا كما اعتبر مؤسّسها وشارعها الهاً واحدا على اختلافها في الاحكام والحدود والآداب. كاختلاف شارعيها في الاسماء والازمان والانساب

وليس ذلك الا من حيث مانوهنا وصرحنا به كرارا من وحدة الحقيقة واتحاد الذات * وليس هذا من باب التناسخ الباطل والتقمص المضحك الذى زلقت فى هاويته أقدام كثير من النفوس الساذجة وتطرفت فيه جماعة من الامم الغابرة والحاضرة . حيث ان روح الله حقيقة واحدة من جميع الجهات بخلاف الارواح البشرية والنفوس الناطقة الانسانية . فانها متكثرة بالذات متباينة فى الحقائق . وانما يرجع من الاشياء صورتها النوعية وما يتبعها من الخواص والآثار لا الصورة الشخصية وما يلحق بها من الخصوصيات والمشخصات * فالمقصود من رجوع الحقيقة المقدسة هو رجوع الذات الواحدة من جميع الجهات وتجلى الهوية المنفردة فى كنه الذات وهى الحقيقة العلياء . والجوهرة الغراء . مركز دائرة الاسماء . وروح الله النازلة من السماء . التى بمعرفتها تتبين حقائق الاشياء وتظهر خافية الصدور فى عالم الانشاء * فيمتاز بها المشرك من الموحد والواهم من المحقق والمحق من المبطل . والثابت من الزائل . فاذا تجلت تلك الذات المقدسة فى هيكل . واشرقت شمس الحقيقة من مشرق . وانكرها منكر واعرض عنها معرض . اوجهل بها جاهل . وغفل عنها غافل . فلا يَصْدُقُ عليه اسم الموحد . ولا يفيده العلم بوجود ذات ما فى مقام التوحيد اذ لم يخرج ايمانه عن حد الوهم ولا يتعدى علمه بوجود الله اماعن العلم المطلق ومن فهم هذه الحقيقة الدقيقة يتبين لكم سبب عدم صدق اسم الموحد

على الامم المتفرقة . والاديان المختلفة . مع اذعانهم بالله واحد . وكذلك يظهر الفرق بين العلم بالله والعلم بوجود الله كما أشرنا اليه آنفا . وبيناه سابقا ـ فان أفراد تلك الامم المذكورة ينتهي معرفتهم إمّا الى ما خلقته أوهامُهم وافكارهم في تصور ذات الله إن كانوا من العلماء والفلاسفة ـ أو الى معرفة واحد من تلك المشارق والمطالع الماضية إن كانوا من المقلدة والعامة *

وقد ثبت ممّا برهنا عليه ان هذا المقدار من العلم لا يكفي في مقام التوحيد . ولا يكتفي به في تحقق العرفان . ولا تأمن النفس معه من الوقوع في حبائل عبادة الشيطان ـ وكذلك يظهر لكم معنى (الرجعة) التي افتتنت بها الامم وحارت فيها عقول الملل (اذ لم توجد أمة من الامم العتيقة والموجودة الا وتنتظر رجوع نفس أو نفوس من الذين كانوا في الازمان الغابرة . ووعدوا برجوعهم في الآخرة كاعتقاد اليهود برجوع (ايليا النبي) واعتقاد الشيعة من المسلمين برجوع (حسين بن علي ومحمد بن الحسن العسكري) واعتقاد النصارى وأهل السنة برجوع (المسيح) في آخر الزمان . كما هو المعلوم لدى المطلعين بمعتقدات الاديان *

فالمقصود من الرجعة رجعة ظهور تلك الحقيقة المقدسة . ومن القيامة قيام مظهرها ومطلعها بين الخليقة . ومن الساعة ساعة طلوعها واشراقها بعد الغيبة *

وأمّا الرجعة والقيامة بالمعنى الذي تعتقده وتنتظره الامم فهي أمر

غير معقول اذ هو مخالف للنواميس الطبيعية ومباين للسنن الالهية. ولن يجدوا لسنة الله تبديلا * ولن يروا للنواميس التى طبع الله الخليقة عليها تغييرا ولا تحويلا *

ويعرف ويتبين ويمتاز هذا المظهر الكريم . والانسان العظيم عن غيره من أفراد البشر بظهور صفات الله تعالى منه وبروز سماته وخصائصه به * فيظهر منه العلم والحكمة والعزة والسلطنة والقدرة والقوة . والغلبة والقاهرية . وغيرها من خلال الشرف ونعوت الكمال من غير أن يكون علمه حاصلا من التعلم والاكتساب فى المدارس العلمية . ولا قوّته وقدرته . وسلطانه وعظمته وقاهريته وغلبته مستمدة من السلطة والرّياسة الملكية . أومن الغنى والثروة المالية - أومن العصبية والرابطة القومية - وهكذا جميع صفاته وخلاله وشمائله واحواله بل كل تلك الشمائل والصفات متجلية فيه بذاته . ومتحققة بكلماته وآياته . فيكون فى جميع خلاله معجزا لغيره ومفحما ودامغا لمن يقوم بمقاومته ومجاراته . وأخصّ تلك الصفات وأظهرها هى القوة القوية التى تظهر منه فى تشريع الشرائع والاديان . وانفاذها واثباتها بين أهل الامكان . وقهر من يقاومها ويعاندها من أولى القدرة والسلطان - وهذه هى قوة قوية ليست وراءها قوة بين الامم . وقدرة وسلطنة جلية لا يغلبها وان يغلبها جميع من فى العالم . اذ طال ماصارعتها الملوك المستبدون فصرعتهم . وقاومتها العلماء والكبراء فقهرتهم . فان محبة الدين المألوف

القديم سجية راسخة فى قلوب العالمين . والتفانى فى حفظه والتهالك فى منع زواله وابداله شنشـنة معروفة من الامم أجمعين ، فاذا قام فرد من أفراد الناس وادعى أنه رسول من الله وجاء بكتاب كريم. وأظهر أنه كتاب الله. وظهر منه ومن كتابه قوتان ظاهرتان. وقدرتان باهرتان *

(الاولى) علم تزول به أسقام الامم حيث بدل شركهم بالتوحيد وكفرهم بالايمان . وجهلهم بالعلم . وجفاءهم بالالفة . وبغضهم بالمحبة. وخيانتهم بالامانة ـ وهكذا سائر الاوصاف والخلال والاخلاق والاعمال *

(والثانية) قدرة يغلب بها على العالم حيث يقاومه الناس بأجمعهم حتى أقاربه وعشيرته. وعصبته وقبيلته. كما قاومت اليهودُ نشر الديانة المسيحية وقاومت العرب نفوذ الـكلمة الاسلامية. فضلا عن سائر الملل والامم والقبائل والشعوب ـ حينئذ لم يبق شك فى صدق دعوته وحقيقة كلمته ووجوب طاعته . ولزوم اجابته . وان قوته وقدرته مرتبطتان بالقوة القدسية . ومتسببتان عن القدرة الغيبية . ومنبعثتان من الذات الالهية. ونازلتان من الحقيقة العلية السماوية . أذ لاشك ان الديانة الجديدة حادثة ولابد لـكل حادث من سبب وعـلة . فاذا انتفت العلل الملـكية التى ذكرناها من قبيل العلوم الـكسبية أو الملك والسلطنة الظاهرية ـ أو الغنى والثروة المالية ـ أو المنعة والعزة القومية . فلم يبق شك عنـد كلّ متأمل حتى عند الفلاسفة متتبعى

العلل والفواعل انها تنتهي الى علّة العلل ومسبب الاسباب وهي الذات الالهيّة . والحقيقة السماوية . والرتبة الملكوتية والهوية اللاهوتية . وهي المعبر عنها بالواجب تعالى شأنه وجلّت عظمته . فهذا الانسان الكريم الذي وصفناه وذكرناه (وهو اجلّ وأعلى من أن يوصف ويذكر) تحكي وحدتُه عن وحدة الله . وارادتُه عن ارادة الله . ومشيئتُه عن مشيئة الله وجميع اسمائه وصفاته عن اسماء الله . وصفات الله ، فمعرفته معرفة الله ، واطاعته اطاعة الله ، وانكاره وتكذيبه هو عين انكار الله ، وتكذيب الله — وهذا هو التوحيد الحقيقي ، والعرفان والتفريد الواقعي التحقيقي ، والباقي شرك المشركين . واوهام المتوهمين . وظلمات خيالات المتفلسفين . وسفاسف افكار المنتحلين ، والحمد لله ربّ العالمين *

المقصد الثاني

﴿ في بيان الادلة والبراهين المثبتة لحقية الظهورات الالهيّة ﴾

يا أهل البهاء والثابتين على عهد من طاف حوله الاسماء ، اعلموا أحيا الله قلوبكم بمعين مواهبه الفائضة من الحقيقة الغرّاء أن من المسائل المتفقة عليها بين الملل أنه لم يزل كان في العالم ظهور حق وباطل وقيام هاد ومضل . ودعوة صادق وكاذب . ونداء رب وشيطان . وبعبارة أوضح انه قام في الماضي ﴿ وربما يكون في المستقبل أيضا ﴾ رجال

ادعوا انهم ظهروا باذن الله . وقاموا بامر الله . وكانوا صادقين فى دعوتهم محقين فى كلمتهم . ورجال ادّعوا عين هذه الدّعوى ولكن كانوا كاذبين فى ادعائهم مضلّين فى آرائهم فلا بدّ أن يكون للداعى الالهى وظهور الحق سمة وأمارة وآية وعلامة تثبت حقية دعوته ودليل وبرهان وحجة وبينة تقرر صدق كلمته ليتميز الحق من الباطل والهادى من المضلّ وليمتاز طريق الهداية من الضلالة وسبيل الرشد من الغوايةويتبين الرب من الشيطان ، وتم الحجةعلى أهل الامكان ثم اعلموا أيدكم الله انما ذكرنا واثبتنا فى المقدمة السابقة أن مظاهر أمر الله كلهم مظاهر حقيقة واحدة وذات واحدة وهم جميعهمفى حكم انسان منفرد ونفس منفردة أو لهم عين آخرهم . وسابقهم عين لاحقهم . وانما يمتازون عن غيرهم بظهور صفات الله منهم وتجلى ذات الله فيهم فينتج من هذا أن يكون طريق معرفتهم وبرهان حقيتهم ودليل صدقدعوتهم وحجة اثبات كلمتهم أيضاواحداً اذتلك العلائم والآيات والحجج والبينات ليست إلا آثار الصفات الالهية المتجلية فيهم وهي بمنزلة الاشعة والانوار المشرقة من شمس الحقيقة، فما دامت الشمس واحدة فلابد من ان تكون أنوارها أيضاواحدة، والاشعة الساطعةمنها أيضا متشابهة متماثلة الاانه كلما كان الظهورمتأخرا وأقرب الى المنتهى . أى القيامة الكبرى والساعة العظمى . كانت تلك الانوار أشدّ سطوعا وأجلى . والادلة والبراهين أظهر وأقوى

حسب ناموس التقدم والارتقاء ، وتتّضح هذه النكتة جليا لمن يبحث عن أدلة حقية الاديان التي ظهرت في الازمنة الاولى . وتلك الادلة والبراهين وان لم تكن محصورة في مفاهيم معلومة ، اذ قلنا انها في الحقيقة عبارة عن آثار صفات الله المتجلية في مظاهر أمره والانوار الساطعة من شمس حقيقة ذاته ، الا ان أظهرها وأشهرها ترجع الى (أربعة أقسام) مما اعتبره أصحاب الشرائع والاديان . واحتجوا به في مقام الاتيان بالحجة والبرهان . وهي عبارة عن الوحي السماوي (أي الكتاب الالهي) ثم برهان التقرير (أي الدليل العقلي) ثم العجائب والمعجزات ، ثم النبوات والبشارات ، فلنبحث عن حقيقة تلك البراهين وكيفية دلالتها على مظهر أمر الله على سبيل الاختصار . متوكلين على الله رب الابرار ومقصود الاخيار ومنور البصائر والابصار

﴿ أما البرهان الاول ﴾ أي الوحي السماوي والكلام الالهي فهو عبارة عن المعاني التي تنزل على قلب مظهر أمر الله بوساطة روح الله المقدس المتجلي فيه ثم تظهر على هيئة الكلمات من لسانه . وتنسبك في قوالب الالفاظ بنطقه وبيانه . فيظهر من نفس هذا الحد والتعريف ان الكلمات الالهية ، والآيات الكتابية ، هي أول فيض يفاض من الحقيقة الرحمانية ، وأجل وأعلى موهبة تنزل وتوهب للحقائق الانسانية . اذ هي بمنزلة الندى والامطار السماوية . النازلة من غمام المشيئة القدسية فيلبس العالم المشيب ثوب الشباب القشيب من نزولها

وهطولها وهى أشعة شمس الحقيقة الطالعة من المشارق المقدسة فتزول ظلمات الجهل والاوهام من اشراقها وسطوعها ٠ وهى نسمات ربيع الظهور، ونفحات صبح النشور، بين الازمان والدهور . فتفوح بها روائح طيب العرفان بين الامكان ٠ وتنفخ روح الحياة فى الشرائع والاديان . من هبوبها ومرورها ،وهى الانهر الجارية من ينابيع الحكم الربانية ،فى الرياض الغضة الناضرة الروحانية ، فتزول أوساخ التوحش والهمجية . وتظهر لطائف الحضارة والمدنية ، من فيضانها وانحدارها ولكلمات الله تعالى مزايا ظاهرة ورجحان وعظمة باهرة على سائر الادلة والبراهين ـ اذ هى من الآثار الباقية الخالدة ، وسهلة التناول على الغائب والحاضر بخلاف العجائب والمعجزات . فانها من الآثار البائدة الزائلة ولا يمكن ارسالها الى الممالك البعيدة والبلاد النائية . وهى من أشرف الاشياء لتكون حجة لأشرف الخلق اذ ليس فى العالم شىء أشرف وأعلى قدرا من العلم . ومستودع العلم هو الكتاب كما هو ظاهر لاولى الالباب ، وبها توجد وتتحقق فوائد التربية والتعليم وسن السنن وتشريع الشرائع والقوانين . التى هى أس تنوير الشعوب وتهذيب الامم .وحفظ الهيئة الاجتماعية .وتمدن العالم، فهب ان موسى عليه السلام كما تزعمه اليهود فلق البحر .وجفف النهر .وبدل العصا بحية تسعى .وأخرج اليد البيضاء وغيرها من الآيات الكبرى ،وان المسيح له المجد أحيا ميتا وأبرأ أكمها وشفى أبرصا ـ أين تلك الامور من

الانجيل أو التوراة . فان تلك الآيات لو صحت على الظاهر لم يرها غير نفوس معدودة من الجمهور . وهذه تضيء أنوارها وتتلألأ آثارها وتقرأ أناشيدها وآياتها ، وتتلى مزاميرها وبشاراتها ، فى كل الممالك والبلاد على ممر الاعصار والدهور . فيقرؤها كل قارىء ويسمعها كل سامع ويتناولها كل طالب ويستفيد منها كل مستعد ، وتتنور منها البصائر وتقر بها الابصار . وتتهذب بها الاخلاق . وتحيا بها النفوس . وتنشرح منها الافئدة والصدور . ولا يُعرفُ ولا يُمتاز كلامُ الله عن كلام البشر بفصاحته وبلاغتـه ورصف كلماته وتسجيع عباراته وترصيع جمله ولطيف استعاراته كما يدعيه قوم . ولا بشهادة الآثار العتيقة وبقايا مصنوعات الملل البائدة . كما تتمسك به طائفة ولا بالتلقى عن الآباء والامهات والاكابر بالوراثة ، ثم تطمئن به النفوس وتخضع له القلوب تقليدا وتبعية ، فتحسبه قضية مسلمة ، ومسألة ثابتة ــ كما هو شأن جماعة اذ كل تلك الامور ترجع إما الى علامة خفية يجهلها أكثر الامم ولا يمكن اثباتها لجميع أهل العالم لتكون الحجة بالغة . والبرهان تاما ــ وإما الى التقليد الاعمى وأخذ قول الغير من غير دليل يركن اليه أهل النهى *

وأما أهل البهاء المتمسكون بذيل مَنْ طاف حوله الاسماء . يميزون كلامَ الله تعالى عن كلام الخلق بتأثيره التام فى هداية النفوس وتنوير القلوب واحياء الامم وتهذيب أخلاق الشعوب . وايجاد أمة جديدة

مستقلة نامية ، وتشريع شريعة بديعة مهذبة باقية . وقهر من يقاومه من الامم المستكبرة والغلبة على من يمانعه ويعانده من الملل الجائرة ويعبرون عن هذه العلامة فى مصطلاحاتهم بالخلاّقية والقاهريَّة ، ويفرقون بها بين الآيات النازلة الالهية . والكلمات الملفقة البشرية . اذلا يخفى على اللبيب النبيه انّ ارسالَ الرّسل وبعثَ الانبياء وتشريعَ الشرائع وسنَّ السّنن انما هو لهداية النفوس وازالة أسقام القلوب كما أنّ علمَ الطبّ وسننه وقوانينهُ انما هو لعلاج أمراض الابدان وحفظ صحة الشعوب ـ فاذا قام رسول وجاء بكتاب من الله ، فأهتدت به نفوس وأحييت به قلوبٌ فتبدل شركهم بالتوحيد وكفرهم بالايمان ، وعنادهم بالاذعان . وجهلهم بالعلم والحكمة . وجفاؤهم بالالفة والمحبة . حتى أوجدَ أمةً مستقلة حية باقية وشريعة مهذّبة هادية لم يبقَ شكٌّ حينئذ أنه هو كتاب الله ، وأنّ شريعتهُ هى شريعه الله ، والمنزلُ عليه هو قائم بامر الله منصور مؤيد بروح الله ، اذأن الهداية صفةمرتبطة بالفعل مثبتة للموصوف كما أن علاجَ المرضى وشفاءَ الامراض وحفظ الصحة وتعديلَ الاعراض صفة مرتبطة بعلم الطب مثبتة لدعوى الطبيب . والى هذه النكتة الدقيقة تشير كلمة سيدنا عيسى له المجد والعلى ، كما جاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر متى (من الثمر تعرف الشجر) اذ لا يعقل انمصدرَ الكذب والفساد يصدر منه الصلاح والسداد . وشجرة الضلالة والغواية . تأتى بأثمار السعادة والهداية . وفى الاصحاح

الثامن عشر من سفر تثنية التشريع من أسفار التوارة المقدّس لما أخبر الله تعالى عن ظهور الانبياء وقيام الدُعاة من حق وباطل . وهاد ومضلّ . صرّحَ بأن الميزان الوحيد لتمييز الكاذب منهم عن الصادق . والباطل منهم عن المحق هو عدم تأثير كلامه ونفوذ قوله فى هداية النفوس وتنوير القلوب وإقامة الامم وتهذيب الشعوب • حيث قال جل ذكره (وان قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرّب . فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرّب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه)

فانظروا أيدكم الله تعالى كيف جعل الميزان الصحيح الفارق بين الكاذب والصادق هو عدم نفوذ قول الكاذب وانعدام تأثير كلام الباطل ، ولم يجعل الفصاحة مميزا أو المعجزة فارقا أو شهادة الآثار العتيقة مثبتا * وليس المراد من الآيات المذكورة هو الاخبار عن الامور الآتية كما فسّره بعض الشارحين اذ يلزم حينئذ أن يكون الناس معذورين فى عدم الايمان قبل تحقق الخبر — وهذا ممّا لا تستقيم به الاديان ، ولا تقوم به الحجّة والبرهان . فالنفوذ والغلبة هما الفارق الوحيد والميزان الفريد ، والعلامة الواضحة لتمييز كلام البشر من كلام الرب المجيد . حتى إن أوّل انسان آمن بالنبى الصادق واذعن لدعوة المحق لو لم يشعر فى نفسه بتلك الهداية الواضحة ، والغلبة الظاهرة لما آمن بكلامه ولما خضع لمقامه *ومن تأمل فى حال الامة المصرية قبل

ظهور موسى عليه السلام كيف كانوا فى أسوأ الحالات من الذّل والهوان والعبودية والخذلان، وما آلت اليه أحوالهم بعد ظهوره ونزول التوراة المقدّس حيث تبدلت أحوالهم ، وتغيرت أفكارهم ، فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما، بعد أن كانوا عبيداً رذلة . ورعاة جهلة ، عكنه أن يعرف بعضَ آثار نزول الكلمات الالهية ، ومقادير تأثيرها فى اخراج الامم من الظلمات الى النُّور ، ومن الموت الى الحياة ، ومن الهمجية الى الحضارة والمدنية . وهكذا ينطق لسان حال جميع القبائل والشعوب الداخلة فى ظلّ الشرائع السماوية ، من الامم الشرقيـة والغربية ، بما أثر فيهم نزول أمطار الوحى من غمام عناية الحضرة الالهية لو تدبّرتم فى القصص الماضية وسرّحتم أنظاركم فى الحقائق التاريخية * والى هذا يشير ماجاء فى الاصحاح الخامس والخمسين من كتاب أشعيا حيث قال الرب جـل وعلا (ليست أفـكارى أفـكاركم.ولا طرقى طرقكم . يقول الرّب لانه كما علت السموات عن الارض هكذا علت طرقى عن طرقكم. وأفكارى عن أفكاركم.لانه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان الى هناك بل يرويان الارضَ ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعا للزارع وخبزا للآكل. هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع الىَّ فارغة بل تعمل ماسررت به وتنجح فيما أرسلتها له) وبهذا تغرّدت ورقاء الهدى فى رياض القرآن. وهدرت حمامة الوحى من غصون التبيان (وترى الارضَ هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت

وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) وفى هذا كفاية لاهل الايمان وغنية لاصحاب الايقان . فقد عز علىّ المجال . وضاقت علىّ الاحوال . وتراكمت على الاشغال . وعلى الله ربى اتّكل وأتوسل فى المبدأ والمآل *

وأما البرهان الثانى ﴿أى الدليل العقلى﴾ فهو عبارة عن تلك القوة القوية الالهية . والقدرة الملكوتية السماوية التى أشرنا اليها وبيّناها على سبيل الاجمال فى المقالات السابقة وهى عبارة عن القوة المنفذة للشريعة الجديدة والديانة الحديثة من غير أن تكون هذه القوة مستمدّة من السلطنة والقدرة الظاهرة الملكية . أو المنعة والعزة والعصبية القومية أو الغنى والثروة المالية . أو المعارف والعلوم الاكتسابية . فاذا وُجدت هذه القوّة القوية ، وانتفت عنها علية تلك الاسباب المذكورة ، تنتهى بلا شك الى علة العلل ــ ومسبب الاسباب . وهى الارادة الالهية والمشيئة الربانية . والقوة الغيبية الذاتية . والقدرة الملكوتية السماوية . والا ينتهى الامر الى الدور ــ أو تسلسل العلل من الامور الباطلة الغير المعقولة عند أعاظم الفلاسفة ، وأساطين العلم والحكمة *

وتقرير هذا الدليل على سبيل التفصيل . هو ان هذه القوة القوية والقدرة الباهرة التى ظهرت من شارع الدين الجديد لابد أن يكون لها سبب وعلة عقلا . والفلاسفة يتتبعون العلل ، ويسألون عن الاسباب . فان الديانة حادثة بالضرورة . والديانة الجديدة فضلا عن

الحدوث مكروهة أيضا عند جميع الامم ، تأبى اعتناقها كل نفس بالبداهة. فكأن القوّة المنفذة للديانة الحديثة تقاوم جميع أهل العالم وتغلب وتقهر كل الامم . فلابدّ ان يكون للحادث من محدث . وللمجعول من جاعل . ولهذا الامر الجلل والقوة الباهرة من مبدأ وسبب . فاذا قيل ان هذه القوة الفاعلة المؤثرة فى انفاذ الدين الجديد وابقائه الى أمد مديد هى مستمدّة من العصبية نرى أنها ثمّ منعدمة ، فلا يمكن أن تكون مصدرا وعلة لظهور هذه القوة القوية . أما فقدانها فى الديانة النصرانيــة ، والديانة الاسلامية ، فامر ظاهر وقضية واضحة لا تقبل التشكيك . فان أقارب سيدنا الرّسول عليــه السلام . كانوا أ كثر الناس عداء له . واعمامه وبنى اعمامه كانوا من أركان مجلس الشورى فى مشاورة قتله ومنع نفوذ أمره ، وكانوا أوّلَ القائمين لقتاله وعدائه . وافصح الناطقين برده وهجائه . وأقارب سيدنا عيسى عليه السلام وهم اليهود بمدما مضى من الاحقاب والاجيال بقوا أكثر الناس انــكارا لدينه واشدّ الامم عداء لاسمه . وأما فى ديانة سيدنا موسى عليه السلام فالتوراة رغما عن ظلمة التواريخ القديمة . واختــلاف علماء التاريخ فى مصنف الاسفار الخمس يشهد بان بنى اسرائيل كانوا كارهين لقيام موسى عليــه السلام منتقدين على كثير من أعماله . حتى كادوا ان يرجموه مرارا لـكثرة النصب والتعب الذى كانوا يتحملونه من ظلم الفراعنة وعداء الاقباط . فلا يمكن والحالة هذه أن تــكون تلك القوة القوية

المنفذة للديانة الحديثـة مستمدّة من العصبية ، وحاصلة من المحبة القومية * وسبب هذا النفور والجفاء الظاهر والتألّب والعداء الباهر واضح لاولى البصائر ، فان مرض الوباء العام الديني المعبر عنه بأبدية الدين وعدم جواز تبديل الشريعة شمل كلّ الطوائف وعمّ وأحاط جميع الامم . فكما ترون أن كلاّ من اليهود . والنصارى . والمسلمين . يعتقدون ان شريعتهم هى شريعة الابديّة . وديانتهم هى الديانة الدائمة لايجوزون تغيير حكم من احكامها بل كثيرا مابذلوا دماءهم واموالهم وتركوا أهلهم واولادهم لحفظ حدّ من حدودها وصيانة نص من نصوصها ـ كذلك كانت عند الامم الصابئية وسائر الفرق الوثنية . ولهذا تنفر كل نفس ويأنف كل انسان من ترك الدين الموروث ، واعتناق الديانة الحديثة . ولافرق فى ذلك بين البعيد والقريب والاجنبي والنسيب . والخامل والحسيب . والمبغوض والحبيب . وقلما يرى احدٌ ينتبه بنفسه الى ان شارع الدين الجديد (أى القائم الموعود) انما هو قائم بامر الله . وداع باذن الله . ومنفذ لما أراده الله . وهو يسنّ الشرائع والاحكام . على ماتقتضيه الظروف والحالات . ويلائم الامكنة والاوقات . لاعلى مايوافق اهواء الامم . وآراء الملل . على اختلاف أهوائهم وآرائهم . وتباين عقائدهم وافهامهم *

ومما بيّناه يتبين لكم مقدار سخافة مازعمه ابن خلدون من انّ الدّعوة الدينية . لاتقوم ولاتتم الاّ بالعصبية القوميّة . واستند بحديث

مجهول وهو (ما بعث الله نبيا الاّ فى منعة من قومه) فظن أن نفوذ الكلمة الالهيّة. وقيام الدّعوة النبوية. محتاج ومنوط بالعصبية القوميّة. لا بالقوة الغيبية السماوية . فاستنتج منها ضعف بشارات ظهور المهدى لانحلال العصبة الهاشمية. وتشتت الاسرة العلوية . وهذا مخالف لصريح القرآن والانجيل. بل مباين لما يشهد عليه التاريخ . اذ ما جاء فى القرآن ذكر نبيّ من الانبياء إلا وأردفه بان قومه كانوا أوّلَ المعرضين عنه واشدَّ المعترضين عليه . وقد صرح بهذا سيدنا المسيح أيضاً كما جاء فى سفر متى آية (٥٧) من الاصحاح (١٣) انه عليه السلام قال (ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته) فلو كان للعصبية مدخل فى قيام دعوة النبي عليه السلام . لكانت قريش أوّلَ أمة قامت لاجابته . والحال انها أول قبيلة انكرت تلك الدّعوة وناصبته العداوة وهيجت زوابع الفتنة. وأثارت نقع المحاربة. حتى ركن الرّسول الى الهجرة والتجأ الى أهل يثرب. وهم من قحطان من العرب العاربة التى لا تجمعها وبنى اسماعيل (وهذه من العرب المستعربة) جامعة نسب الا فى سام أى تشعبت وافترقت سلسلة انسابها منذ الفين وخمساية عام . وكذلك كان الامر فى قيام دعوة سيدنا المسيح له المجد. فانّ اليهود وهم مدركُ عصبيته ومغرس ارومته كانوا اوّلَ الامم انكارا لدعوته وبقوا أشدّ الملل اصرارا لعدائه وبغضته . وأطاعه أهل اروبا وهم من بنى جومر لا تجمعهم واياه له المجد جامعة نسب الا فى نوح . فقاموا لنصرته وتحملوا كلّ صعوبة

لانفاذ كلمته . حتى نشروا أمره المقدس فى جميع الاقطار. وربحوا تاج المجد و الفخار . وتتألق وتضيء انوار آثاره الباهرة مدى الدّهور والاعصار *

فمما ذكرناه يتبيّن بطلان ماتوهمه ابن خلدون من تأثير العصبية فى قيام الدّعوة النبوية. لولم نقل إنها تؤثر بالضدّ والعكس لتظهر قوة الكلمة الالهيّة. وغناؤها. واستغناؤها عن القوى الضعيفة البشرية* وانما الجهل بهذه الحقيقة والغفلة التى اخبر الله تعالى انها تضرب سرادقها فوق العالم ويحول دخانها وقتامها دون أبصار الامم . هى التى أعمت ابن خلدون . حتى دعته الى الشكّ فى ظهور المهدى الموعود. رغما عن نصوص الكتب السماوية . والوعود الصريحة الواردة فى البشارات النبوية * واذا قيل إن هذه القوة المنفذة للشريعة المستجدة كانت مستمدة من المعارف الكسبية. والعلوم التحصيلية . بمعنى ان شارعى الاديان الالهية تعلموا من كبار أهل العلم فبرعوا فى فنون المعارف من قبيل الفلسفة و الطبيعيّات. والهيئة والفلكيات ـ أو الهندسة والحساب ومسح الارض، وتقويم البلدان وغيرها من فروع المعارف واقسام العلم حتى خضعت لهم اعناق العلماء وبهرت من معارفهم ابصار الحكماء فاتّبعوهم وتبعهم العامة والجهلاء . نرى أنها ثَمّ منتفية ايضاً *

أما انتفاؤها فى ظهور موسى عليه السلام. ولو كان مجهولا بسبب ظلمة التواريخ القديمة وانقطاع يد الكشف والاستقصاء عن حقيقتها

فهو واضح كال الوضوح فى ظهور سيدنا المسيح له المجد ـ اذ لم يعهد منه تعلم فى المدارس الموجودة اذ ذاك فى بلاد اليونان ومصر ولا اهتمام منه بتحصيل تلك العلوم. ولم يبق أثر ولا كتاب منه فى تلك المعارف ولا يشهد اثر ولا تاريخ بأنه عليه السلام. كان فى عصره معدودا من العلماء . ولا عد من الفلاسفه والحكماء . على انه لا مشابهة بين المعارف المشرقة من المظاهر القدسية. وبين تلك المعارف البشرية التحصيلية اذ هى روحانية تحيي الارواح والنفوس. وتشفى أسقام الافئدة والقلوب وهذه جسمانية ترجع فوائدها الى مواد معلومة. ومواضع محدودة. متعلقة بالاجسام ـ كفوائد الهندسة الراجعة الى معرفة السطوح. وفوائد الحساب الراجعة الى الاعداد . وفوائد الطب الراجعة الى صحة الابدان . وهكذا سائر الفنون والعلوم كما هو واضح ومعلوم *

ومن المعلوم ان فلاسفة مصر واليونان . وحكماء الفرس والكلدان الذين كانوا فى تلك القرون مصادر هذه الفنون . عجزوا عن اخراج نفوسهم وجيرانهم وأهالى مستعمراتهم من أغلال العقائد الفاسدة وتطهيرها من أدران الاعمال القبيحة من قبيل ذبح الاطفال عند الاصنام. وعبادة الحيوانات. والاشجار والانهار وهتك أعراض الحرائر فى سبيل الله الجمال * وشرب بول الابقار . وغسل وجوههم بها. ووأد البنات واحراق الاحياء مع الاموات . وتقديس النار وتحريم الحرف والصنائع المستلزمة لها. وجفاء الغريب * والامتناع عن مس الغير

بالرطوبة. والاكل معه. ولو كانوا من جنس. واحد ووطن واحد. وديانة واحدة الى كثير من أمثالهـا مما لاسبيل الى تفصيلها واستقصائها . بل ان الفلاسفة والعلماء كانوا اذ ذاك يدافعون عن تلك العقائد الباطلة والاعمال القبيحة ، ويتهالكون فى حفظها عن التغيير والتبديل أو الزوال والاضمحلال. فسرِّحوا انظاركم نور الله تعالى بصائركم وأبصاركم الى الامة العربية . وتصاريف حالاتها قبل ظهور الديانة الاسلامية وبعد ظهورها لعلكم تنتبهون الى بعض ما اشرنا اليه من الفرق الواضح بين العلوم الآلهية . والمعارف الفلسفية . فى إحياء النفوس البشرية وازالة الاسقام الروحانية فان فلاسفة مصر واليونان جيران العرب على غزارة علمهم وسعة معارفهم وتوفر الاسباب لديهم ومساعدة الدول لهم عجزوا عن نشر المدنية بين الامة العربية مع أن جميعهم كانوا أبناء ديانة واحدة صابئية . وعلى طريقة متحدة وثنية . وهى أسهل من ازالة الاسقام الروحانية . ومعالجة الامراض الدينية . ولكن قيام ذلك الانسان الامى وحده فك أغلال الجهل من أعناقهم ، وحل عقال التقييد والتقليد من أرجلهم ، وأيقظهم من اغماء السبات . ونفخ فيهم روحا جديدا من الحياة. فنشطوا وطاروا واستناروا . فأناروا . حتى نشروا أنوار العلم والمدنية وبسطوا فضائل الحضارة والانسانية . لافى الممالك العربية وحدها بل فى جميع الممالك الواسعة الشرقية . وأزالوا تلك العقائد والعوائد المهلكة المدمرة من الامم المجوسية والوثنية *

فاذا عرفتم أيها السادة الاجلاء هذه النكتة الظاهرة. والحقيقة الباهرة. يمكنكم ان تعرفوا أن الله تعالى انما خص تشريع دينه وانفاذ كلمته بالاميين لا بالفلاسفة والمتخرجين من المدارس ليكون أدعى الى قطع الشبهة. وأبعد عن موضع التهمة. وأدل على ان تلك القوة القدسية ليست مرتبطة بالعلوم التحصيلية. ولا حاصلة من المعارف الكسبية. وانما غفل عن هذه النكتة. وجهل هذه الحقيقة. ذاك الفاضل الشهير مترجم القرآن ومدوّن تاريخ حالات شارع الديانة الاسلامية (جرجيس صال) حيث قال فى الصحفة (٨٣) من كتاب مقالة فى لاسلام (إن أهل الاسلام يفتخرون بامية صاحبهم بدلا من ان يخجلوا منها واتخذوها برهانا مبينا يثبت انه رسول الله ولا يستنكفون من أن يدعوه النبي الامى كادعاه (القرآن) فظن هذا الفاضل ان كون النبي عليه السلام اميّا هو مما يجب أن تستنكف منه وتخجل الامة الاسلامية. وقد جاء فى الاصحاح السابع من انجيل يوحنّا القديس. ان المسيح له المجد أيضا كان أميا حيث قال (فتعجب اليهود قائلين كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم. فاجابهم يسوع وقال تعليمى ليس لى بل للذى ارسلنى) وهذه العبارة صريحة بان معارفه عليه السلام كانت روحانية والهامية لا من التعلم والتحصيل *

ولم ادر لماذا لا يخجل هذا الفاضل بنفسه وبذاته وهو يرى أن المسيح له المجد وضع مقاليد السموات فى يد أمى صياد للسمك. وألقى

روح الرسالة والهداية فى قلب عامى عشّار لليهود . أليس ذلك لاظهار قدرة الله تعالى ليبرهن للناس أجمعين . بانه تعالت قدرته وجلّت عظمته يقهر بعصاراع صفوف الجبابرة . ويفلّ بها سيوف الفراعنة . ويجعل صياد السمك صياد البشر ، ومقلب اعراش القياصرة . ويعلّم اميٌّ من ملكوته الاعلى فلاسفةَ الفرس . وابناء الاكاسرة ، ليكون هؤلاء الاميّون آيات قدرته . وبراهين عظمته . وحجج ظهوره . ودلائل مشيئته وأرادته . ويكون تجرّدُهم عن المعارف والفنون الاكتسابية أظهرَ الدلائل على القوة الالهية وأبينَ البراهين على القدرة الوهبية السّماوية . واقطع لأوهام المتوهمين واشد دحضا لشكوك المشككين . وفى ذلك كفاية للمتبصرين *

ومما ذكرناه يظهر ايضا ان ماظهر من بولس الرسول من القوة والقدرة فى نشر الكلمة الالهية بين الامم الوثنية فى أول نشأة الديانة النصرانية انما كانت مكتسبة من كلمة سيدنا المسيح له المجد . ومتجلية له منه عليه السلام لا بقوة علومه الاكتسابية وسَعة معارفه التحصيلية كما يعتقده كثير من الامم المسيحية . اذ لم يعهد من بولس الرّسول قبل ايمانه بسيدنا عيسى عليه السلام علم أوفضل سوى ما كان عند سائر علماء اليهود من القراءة والكتابة البسيطتين ، والاطلاع على احكام الشريعة اليهودية ، ولا كان معدودا من فلاسفة ذاك العهد ، ولم يعهد منه انه تعلم فى مدارس اثينا أومدارس مصر ، ولم يوجد منه اثر ولا كتاب فى

الفلسفة والطبيعة ، أو الفلك والهيئة ، أو الحساب والهندسة ، أو الطب والبيطرة ، ولا فى غيرها من فروع العلوم وأقسام الفنون . وهو بنفسه قد انكر على الفلسفة الكسبية ، والمعارف اليونانية ، فى مواضع من رسائله المحفوظة فى الكتاب المقدس — كما جاء فى الفقرة الثامنة من الاصحاح الثانى من رسالته الى أهل كولوسى حيث قال (انظروا ان لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة ، وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح)

وقال أيضاً فى الاصحاح الاوّل من رسالته الاولى الى أهل كورنتوس فى الفقرة الثانية والعشرين ، والثالثة والعشرين (ان اليهود يطلبون آية واليونانيين يطلبون حكمة ، ولكننا نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة) فان اليهود كانوا دائما يطلبون العجائب والمعجزات من تلامذة سيّدنا المسيح له المجد واليونانيّين كانوا يطلبون منهم العلم والحكمة ، ويجرّبونهم بفروع المعارف والفلسفة الاّ أن ذلك الامام الرشيد والخطيب المُصقع البليغ كان يفحمهم ويقاومهم بقوة ملكوت المسيح عليه السلام — الذى أشرقت أنواره وظهرت قوّته واقتداره من تلامذته الأُميين ، وصحابته المضطهدين ، وأوليائه وأحبته المعوزّين لتكون أبين لقوّة الله وأدلّ على قدرة الله كما قال فى الفقرة السابعة والعشرين من هذا الاصحاح المذكور (بل اختار الله جهّال العلم ليُخزىَ الحكماء ، واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الاقوياء) فيثبت من هذا واضحا

جليًا أن تلامذة المسيح له المجد انما انفذوا كلمته وأثبتوا ديانته بالقوة الالهية المكتسبة منه عليه السلام لا بعلومهم ومعارفهم - اذ كانت هذه منتفية لديهم . متوفرة لدى أعدائهم كما هو ظاهر لمن تصفحَ تاريخَ حياتهم وتتبّع أدوارَ حالاتهم *

واذا قيل إن القوةَ المنفّذة للشريعة الجديدة والديانة الحديثة كانت مستمدة من السلطة الظاهرة الملكية أو الغنى والثروة المالية نرى أنها أيضا كانت منعدمة عند شارعي تلك الشرائع ، ومنتفية عند مؤسسي تلك الاديان . وهذا أمر واضح ومسألة ظاهرة لا تحتاج الى مزيد البحث والاستدلال ، وتطويل القيل والقال ، لو كانت ثمة قلوب مقدسة عن التعصب والاميال . وكيف تقاس سلطنة موسى عليه السلام وبنى اسرائيل وثروتهم وعزتهم بغنى وسلطنة الفراعنة ، وغنى وثروة أصحاب سيدنا المسيح مثلا بغنى وسروة القياصرة * وسلطنة سيدنا الرسول وغناه وثروته بما كانت عليه أكابر العرب والاكاسرة ، وسلطنة كل نبيّ بغنى وثروة أعدائه من الملوك والجبابرة *

نعم كثيرا ما يتهم الاسلام بانه قام وانتشر بسيوف أمراء العرب كما أن الفرس واليهود ، والبوذيين والهنود يرمون ديانة النصارى بأنّها قامت بمساعدة القياصرة ، وتقوّت وانتشرت بسيوف الجبابرة الا انّ هذه شبهة واهية ، وقضية باطلة لانّ كلمة الاسلام انتشرت بين العرب قبل الهجرة - كما أن الديانة النصرانية نفذت ، وانتشرت قبل

ايمان قسطنطين الكبير ، وتنصُّرِ القياصرة * على أن تلك العساكر والصفوف والمدافع والسيوف وجدت وتشكلت وقامت وترتَّبت أيضا بقوة تأثير كلمة الله وشدّة نفوذ ارادة الله ـ اذ لولا الكتب الالهية لقامت تلك الجيوش الجرَّارة لنصرة الشرك ، وسلّت تلك السيوف البتارة لاثبات الوثنيّة لا لنصرة التوحيد ، واثبات الوحدانية كما هو ظاهر لمن أوتى بصيرة نورانية ، ودراية وجدانية ، ولكن الله تعالى لسعة رحمته واحاطة فضله وظهور سلطانه وسطوع برهانه . أراد أن يبطل هذه الشبهة بتاتا عن هذا الظهور الابهى ، والطلوع الانخم الاعلى ، فنهى نهيا لا يعقبه الزوال ، ولا يعتريه التغيير والا بدال عن النزاع والجدال ، والحرب والنزال ، بل عن كل مايكدر النفوس ويورث الضغائن فى القلوب من قبيل السب واللعن والفخار والشموخ لتتجلى قوة الكلمة الالهية ، وتنقطع وسائل الشبهات والشكوك من كل الاقسام والوجوه فى جميع القرون والاجيال *

فاذا عرفتم أيها الاحباء حقيقة دليل التقرير ومعنى البرهان العقلى فاعلموا أضاء الله وجوهكم الناضرة ببهاء طلعته الباهرة . ان الامم انما غفلوا عن هذه الحجة الواضحة ، وانكروا هذه المحجة الظاهرة لسببين تعلموهما من رؤسائهم فى طفوليتهم ، وطلقوهما من علمائهم منذ صغرهم وحداثتهم فصار كل منهما قضية مسلمة عندهم ، ومسألة واضحة لديهم فرسخت فى قلوبهم ، ونقشت فى صدورهم . فصارت عندهم من المسلمات

البديهية ، واتخذوها من الضروريات الدينية *

(السبب الاول) انكار بعضهم بعضاً كما ان اليهود مثلاً ينكرون حقية ديانة البوذية ، والبوذية ينكرون حقية دين اليهود ، والمسلمين ينكرون حقية دين البرهمية ، والبرهمية ينكرون حقية دين الاسلام ، والنصارى ينكرون الديانة الزردشتية والزردشتية ينكرون دين النصارى

(والسبب الثانى) انكارهم للظهورات الجديدة ، والديانات الحديثة كما ان اليهود انكروا حقية ظهور سيدنا عيسى له المجد ، والنصارى أنكروا حقية ظهور سيدنا الرسول عليه السلام ، والمسلمين انكروا حقية ظهور سيدنا بهاء الله جلّ ذكره وعزّ اسمه . فصار بطلان الديانة المسيحية عند اليهود قضية مسلمة تتنفر منها قلوبهم وتشمئز منها نفوسهم وكذلك صار بطلان دين الاسلام عند النصارى مسألة واضحة ـ وهكذا بطلان الديانات البوذية والبرهمية والصابئية عند اليهود والنصارى والمسلمين صار حقيقة ثابتة . وزاد الطين بلة ، والنفوس اشمئزازاً ما اختلق رؤساء تلك الديانات بعضهم على بعض من التهم الفاضحة والعقائد والاعمال القبيحة ، وساعدهم على رسوخ تلك التهم فى اذهان الامم عدم اختلاط الملل بعضهم مع بعض فى القرون السابقة والدهور الماضية ، وعدم اطلاع بعضهم على حقيقة عقائد الآخرين بسبب عدم ترجمة الكتب الدينية وصعوبة نشر الآثار العامية ـ لعدم وجود صناعة الطبع اذ ذاك بين الهيئة الاجتماعية ـ أو لضعف بعضهم وخوفهم من ان

يجاهروا بعقائدهم، ويدافعوا عن نفوسهم لغلبة أعدائهم، وقوة خصومهم فراجت ونفقت اسواق الاختلاق ، وكثرت وزهت بضائع التهم واتسعت وأحاطت دائرة المفتريات ، وتفاقمت وعمت محن الاكاذيب ، والمختلقات كما اختلق علماء اليهود على السيد المسيح له المجد من التهم والمفتريات ما منعهم عن الايمان به عليه السلام اكثر من الف وثمانماية عام *

فانظروا ايدكم الله كم ألقى رؤساء هذه الامة العبرية في قلوب ابنائهم واتباعهم من التهم والقبائح واختلقوا على السيد المسيح من الفظائع والفضائح حتى تمكنوا من منعهم في طول هذا الزمان المديد والامد البعيد عن الايمان بهذا السيد المجيد ، والمخلص الوحيد . فتحملوا المصائب العظيمة، والدواهي المريعة ،والآلام الاليمة، في طول هذه المدة المديدة ،والقرون البعيدة، وصبروا على مرّ البلاء ، وشدائد الضرّاء، وأنواع المحن والادواء، ولم يدعنوا لحقيته، ولم يؤمنوا بكلمته ولم يتفكروا (ولو ساعة) في برهانه وحجته. وهكذا سائر الملل والاديان والطرق والمذاهب لم يتركوا دقيقة من هذه الطريقة القبيحة أي اختلاق التهم الفضيحة على من يخالف دينهم وشريعتهم ـ أو مذهبهم وطريقتهم . وقد علم مقدار تأثيرها في قلوب أممهم وأتباعهم وبنيهم وأشياعهم *

وكذلك دخول بعض العبادات المبتدعة والعادات المستهجنة

فى الديانات القديمة مما لم يخل دين من الاديان العتيقة منها من قبيل عبادة التماثيل والاوثان فى الديانات البوذية والبرهمية ، وعبادة النار فى الديانة الزردشتية ، والاحتفال بمولد الاولياء وأكل الحيات والرقص فى المذاهب السنية ، والاحتفال لقراءة المراثى ، وجرح الرؤس بالخناجر ، وتشخيص صور الشهداء بين المذاهب الشيعية . ساعد كثيرا لالقاء الشبهات . وقبول التهم والمفتريات . واتخاذها وسيلة وبرهانا على بطلان أصل تلك الشرائع والديانات : مثلا اذا قيل لاحد من النّصارى أو المسلمين ان الديانة البوذية انما شرعت أوّلا وأصلا باذن الله تعالى وانَّ شارِعَها كان مبعوثا من قبل الله يستعجب ويدهش بل يتنفر ويضجر من سماعه ، ويقول هل يمكن أن تكون عبادة الاصنام دينا إلهيا ، وهل يتصور أن يكون شارع هذا الدين نبيا حقيقيا . ولا يعرف أن عبادة الاصنام والتماثيل ليست من أصول ديانة البوذية ، أو البرهمية أو الصابئية . بل انما دخلت هذه العبادات الباطلة ، والعوائد المستهجنة فى تلك الاديان كما دخلت عبادة رسوم القدّيسين وذخائر الشهداء والصّالحين ، وكثير من أمثالها فى الديانة المسيحية . والحال انها ليست منها ولا وردت فى الأنجيل المقدّس اشارة اليها *

فنتج مما ذكرناه مفصّلا نتيجتان ظاهرتان فى جميع الاديان والملل . وظهر منه أثران جليّان فى كل المذاهب والنّحل *

(النتيجة الاولى) عجزهم عن اثبات حقيقة دينهم ، وصدق نبيهم

ببرهان واضح. ودليل لائح . يميز ديانتهم عن سائر الاديان . ويمتاز به نبيهم عن سائر الانبياء. اذ لو تمسك أصحاب دين من الاديان بما عندهم من المعجزات التى رَوَوها عن نبيهم ودوّنوها فى كتبهم ليرونها فى سائر الاديان أيضا. فكما ان اليهود دوّنوا معجزات موسى عليه السلام فى تواريخهم، والنصارى كتبوا معجزات عيسى له المجد فى كتُبهم والمسلمين جمعوا معجزات الرسول عليه السلام فى مصنفاتهم ــ كذلك البوذية كتبوا ودوّنوا معجزات بوذا ــ أو كنفوشيوس، وسائر أنبيائهم فى كتبهم وصحائفهم ، والبرهمية ، والزردشتية جمعوا ودوّنوا معجزات برها وزردشت فى صحفهم ورسائلهم . راجعوا كتاب (دبستان) الذى صنف فى تاريخ المذاهب والاديان ــ تروا من معجزات البرهمية والزردشتية حكايات وروايات قلما يوجد مثلها فى سائر الاديان والملل ــ أو المذاهب والنِّحل . على انه ليست فى العجائب والمعجزات دلالة أصلية على حقيقة مظاهر أمر الله بل دلالتها دلالة فرعية ثانوية ، وحجيتها حجة تأييدية غير ذاتية كما سنبينه فى محله ان شاء الله *

ولو تمسك أصحاب دين من الاديان بما عندهم من الكتب السماوية . على حسب معتقداتهم يرونه فى سائر الاديان أيضا . فكما اعتقد اليهود بالتوراة. والنصارى بالانجيل والمسلمون بالقرآن، واتخذوها عندهم كتبا سماوية، وصحفا إلهية ــ كذلك الهنود تمسكوا بكتاب

(بيد) والزردشتية بكتاب (أوستاوزند) والبوذية بكتاب (كنفوشيوس) فاتخذوها كتبا نازلة من السماء ، وعباراتها عبارات أوحيت وألهمت على الانبياء . ولو تمسكوا بما عندهم من الاحكام والحدود والشرائع والطقوس مما يرجع الى العبادات الروحانية ، والفوائد الاجتماعية ايرونها أيضاموجودة في كل الاديان والمذاهب ، ومتساوية فى جميع المشارب . لاترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، ولا فى ايجاد الاديان من تغاير وتباين . ولو تمسكوا ببشارات الكتب السّابقة ، واخبار الصحف العتيقة كما يتمسك المسلمون فى اثبات حقية سيدنا الرّسول عليه السلام بعبارات الانجيل ، ويتمسك النصارى فى اثبات حقية سيدنا المسيح له المجد ببشارات انبياء بنى اسرائيل - لينقل الكلام الى اثبات حقية نفس المخبر والمبشر بالبرهان والدليل اذ لا يتوقف السالك المجتهد دون حد قاطع فى هذا السبيل . فينتهى الامر أخيرا بالضرورة الى تلك القوة القوية الالهية ، والقدرة الغالبة السماوية . التى عبرنا عنها بالبرهان العقلى ، والحجة القطعية . ورؤساء الاديان كما اشرنا اليه آنفا لا يريدون ان يعترفوا بهذه الحجة الواضحة ولا يحبون المشى فى هذه المحجة الظاهرة اذ ينافى ذلك تكذيبهم مظاهر أمر الله ، ويباين تمام المباينة لانكارهم مطالع حكم الله . فان تلك القوة الالهية معطاة لجميع مشارق أنوار دين الله . فلو اعترفوا بها ليلتزمون ان يعترفوا بجميعهم وهم لا يعترفون بهم لما ينافى من انكارهم وتكذيبهم .

فيعجزون عن اثبات حقية دينهم ويجهلون طريقة اثبات صدق نبيهم. فيتمسكون بكل باطل. ويتشبثون بكل زائل ويقنعون اتباعهم بخرافات الاوهام ، ويخدعونهم باضغاث الاحلام مما هم في غنى عنه لو تمسكوا بالحق الواضح ، والبرهان الظاهر *

(والنتيجة الثانية) ظهور كثير ممن ينكرون جميع الاديان فيهم ورواج العقائد الفكرية بينهم من قبيل انكار الانبياء وتكذيب الشرائع الالهيّة مع اعترافهم بوجود الله مثل كثير من الفلاسفة المادّية والتائهين في فلوات الاسرار الطبيعية . فان هؤلاء الفلاسفة أنكروا جميع الانبياء والمرسلين ، واعتقدوا بان تشريع الشرائع والاديان انما هو من نتائج العقول البشرية ، وليس لها علاقة بالارادة الغيبية الالهية ولكنهم اعتقدوا بوجود إله مما لايخرج عن حد الوهم كما بيناه في مسألة التوحيد ، وفصلناه وبرهنا عليه في بيان معنى التفريد *

ومنهم من تجرأ وأنكر وجود ذات الله تعالى أيضا فانهمك في هذه العقيدة ، وأنكر ماوراء الطبيعة . ومنهم من بالغ وغالى في هذه الوساوس والاوهام الباطلة ، وتوغل في فلوات تلك العقائد المظلمة . فغفل عن القدرة القاهرة الالهية ، واغترّ بالبروق الخلّب المتألقة من المعارف البشرية . فظن نفسه الضعيفة قادرة على تشريع الشرائع وعقله الطائش القاصر متمكنا من تأسيس الاديان . فقام وأقام دعوة كذبة باطلة وادعى مقاما من المقامات السامية العالية من قبيل النبوة والرّسالة أو الربوبية

والشارعية كما تشهد به الكتب التاريخية، وتنطق به الحوادث الحالية
ولقد ساعدهم في هذا الغرور، وغرّهم على تحمل تلك الشرور سواء في
انكار الذات الالهية ـ أو تكذيب الشرائع السماوية ـ أو القيام على الدعاوى
الطائلة الباطلة سوء أفعال الرؤساء الروحانيين، وعلماء الشريعة من فقهاء
الاسلام، وقسوس النصارى، واحبار اليهود، وامثالهم من علماء
المجوس والبوذية والهنود فجهل هؤلاء الرؤساء بالحقائق الدينية وقبح
أفعالهم وسوء سياستهم في تربية الرعية، وتمسكهم بالحيل والدسائس الدنية
في اقناع الناس بالعقائد الخرافية كلّ هذه جرّت كثيرا من الناس الى
الشك في أصل الديانة الالهيّة، وأدّت بهم الى حسن الظن بالعقائد الطبيعية
فكثرت وزهت طوائف وجمعيات كثيرة خصوصا في هذه القرون
الاخيرة ـ من الذين ينكرون جميع الانبياء، ويستهزؤن بكل الاديان
ويسخرون من كل سيادة روحانية، ويقبحون كل العبادات والطقوس
الدينية. مما لا يخفى على أهل البصيرة سوء عواقبه، وعظم أهواله وغوائله
كما أخبر وصرّح به بطرس الرسول في بشاراته ورسائله * فظهر وثبت
مما بسطناه، وفصلناه ان كل تلك المفاسد والشرور الوخيمة انما نتجت من
انكار تلك القوة القوية السماوية، وجهل الناس وغفلتهم عن تلك القدرة
الغيبية الالهية التي جعلها الله سمة ظاهرة لانبيائه، وآية باهرة لاصفيائه،
ومنارا واضحاً لطريقه وسبيله، وميزانا صحيحاً لمعرفة حجته ودليله.
ففرق بها بين الحق والباطل، والثابت والزائل، وميز بها الصادق من

الكاذب والحق من المبطل . فكم أظهر الله تعالى ضعف القوة البشرية باجمعها في مقاومة تلك القوة السماوية ، وكم أبان عن ضعة وهوان القدرة الظاهرة الملكية في مقابل تلك القدرة الالهية . اذ طالما قاومها أهل العالم جميعهم فقهرتهم ، وصارعتها الامم في مشارق الارض ومغاربها فصرعتهم سواء ذلك في ظهور الانبياء الصادقين كمقاومة الفراعنة في ظهور موسى عليه السلام ، واليهود والقياصرة في ظهور المسيح له المجد ، والعرب والاكاسرة في ظهور الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - أو في ظهور الانبياء الكذبة والذين أرادوا ان يشرّعوا دينا بلا سابقة اذن من الله ويدّعوا نبوة ورسالة كذبا وجرأة على الله كما تشهد به الوقائع والآثار ، وتنطق به التواريخ والاخبار . فان في قصص المزدكية في أيام كسرى (قباذ) وسعد الدولة اليهودي و(ارغون خان) المغولي في ايران و(علاء الدين الخلجي) في هندوستان ، وفلاسفة فرنسا في ثورة سنة (١٧٩٢) عبرة لاولى الالباب ، وذكرى وموعظة لاهل الكتاب . فان هؤلاء الفلاسفة والحكماء ، والملوك والوزراء . أرادوا أن يشرعوا بسامي دهائهم وعقولهم ، وسعة معارفهم وعلومهم . ديانة تلائم العقول والاذواق وتوافق الظروف والاوقات ، وتكون شرائعها وقوانينها أبسط وأسهل على النفوس وعقائدها وأصولها أتقن وأقرب الى الافهام والعقول . وكانت الظروف مساعدة لاهوائهم ، ورؤساء القوم وقواد الجيش مطاوعة لافكارهم وآرائهم ، ولكن الله خيب آمالهم وأبطل أعمالهم ، وبدّد

شملهم وفرق جمعهم وسفه أحلامهم، وكسر أقلامهم ، وبقيت قصصهم عبرة لاهل الاعتبار ، وتبصرة لارباب البصائر والابصار ، ولم أدر لماذا اتخذ علماء الفلسفة الدروينية مشابهة بعض عظام القرود لبعض عظام الانسان دليلا قطعيا على ان نوع البشر فى الاول كان من القرود . فاتخذوا هذا الدليل على ضعف دلالته وسخافة حجيته حجة قاطعة على ان القرود منبت دوحتهم، وعين أرومتهم، ومبدأ وجودهم، واصل جدودهم، ولكن تلك القوة التى وحدها تغلب على العالم، والقدرة التى بنفسها تقهر الامم لم يتخذوها دليلا على ان مظاهرها رجال الهيون، وان مطالعها اناس سماويون . فهل تدخين فرد من أفراد (اوران اوتان) ومقاربة هيئة واحد من افرادها لهيئة بعض متوحشى افريقيا من نوع الانسان على اختلافهما فى كثير من الامور مثل النطق وادراك الكليات واستمداد الكمالات تدلّ على الوحدة النوعية ، والجامعة البشرية ؟ ولكن قهر الفراعنة والقياصرة ، والغلبة على الجبابرة ، والا كاسرة بقيام نفس واحدة غير معزّزة بشىء من الغنى والثروة . أو الملك والسلطة ــ أو القرابة والعصبية ــ أو الفنون والفلسفة لا يدلّ على انها مؤيدة بقوة غيبيّه سماوية وقدرة قاهرة الهيئة ــ لعمرى هذه فلسفة عجيبة ، وحكمة وبصارة غريبة فصحّ فيهم انذار ذاك الرّسول القائل (أنظروا لا يسبيكم احد بالفلسفة وبغرور باطل) *

فنتج مما فصلناه وبيّناه أن دليل التقرير أعظم دليل ، وأظهر برهان

على حقية مظاهر امر الله وثبوت الكلمة * وبقاء الديانة أقوى حجة وأتقن بينة على صدق الداعي وشارع الشريعة – اذ لو صرف النظر عن هذا الدليل الظاهر، والبرهان الباهر، كما هو شأن كل مكذب مجادل ومماركابر ليلتزم الفلسفي منهم بتقبل أوهام مجهولة وأمور مستحيلة غير معقوله من قبيل الدّور وتسلسل العلل – أو مجهولية العلّة والسبب كما قررناه سابقا، وليلتزم المتدين منهم بالعجز عن اثبات حقية دينه وصدق شريعته كما هو ظاهر لاولى الابصار، وجرّبه ارباب البصائر والانظار. وانما سمى هذا الدليل بدليل التقرير لان بقاء الديانة وثبوت الكلمة انما هو تقرير من الله على صحتها، وشهادة منه تعالى على حقيتها اذ لم يعقل عجزه تعالت قدرته، وجلت عظمته. عن محق الكاذب وإبطال الباطل، ولم ينس وعوده في قهر المختلق واعدام المضل كما هو ثابت في بطون الصحف والاسفار، ومحفوظ في بشارات البررة والاخيار *

﴿وأما البرهان الثالث﴾ أى العجائب والمعجزات. فهو عبارة عن أمور غير ممكنة عادة على نوع البشر تصدر عن مظاهر أمر الله إما بطلب الناس منهم اقتراحا – أو من قبلهم عفوا من قبيل انطاق الاحجار وطلب الاشجار وأحياء الموتى وقلب العصا حية تسعى وكثير من أمثالها مما هو مروىّ عن الانبياء ومأثور عن الاولياء. وكان الاقدمون يعبرون عن تلك الامور بالآيات، والآية لغة هى العلامة ولعلها مأخوذة من اللغة السامية التى كانت مصدرا لاشتقاق اللغات

العربية والعبرية والسريانة والبابلية ، وبعض لغات الافريقية . فكانوا اذا ادعى مدع انه رسول من الله يسألونه ماهي آية رسالتك - أي ماهي علامة صدق قولك وحقية دعوتك - ولذا جاء في الآية (٣٨) من الاصحاح (١٢) من انجيل متى (حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يامعلم نريد أن نرى منك آية) فاجاب . وقال لهم (جيل شرّير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي) *

ومعناه ان قوما من علماء اليهود طلبوا من سيدنا المسيح عليه السلام أن يريهم آية - أي معجزة وأعجوبة تكون علامة صدق دعوته وحقية كلمته . ولكنه عليه السلام أجابهم بانهم لا يعطون آية ولا يرون معجزة الا معجزة يونس الرسول . فان طلب المعجزات انما هو من شؤن الاشرار وآية الفجار . وكذلك جاء في الاصحاح (١٦) من هذا السفر (وجاء اليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه ان يريهم آية من السماء فأجاب وقال لهم (اذا كان المساء قلتم صحو لان السماء محمرّة وفي الصباح اليوم شتاء لان السماء محمرّة بعبوسة يامراءون تعرفون ان تميزوا وجه السماء - وأما علامات الازمنة فلا تستطيعون . جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي . ثم تركهم ومضى) وتفسيره ان جماعة من علماء اليهود سألوا سيدنا المسيح له المجد على سبيل التجربة والامتحان ان يريهم معجزة سماوية وأعجوبة الهيّة لتكون آية لحقيته ، وعلامة لمسيحيته ، فيؤمنون

به ويصدّقون بديانته . فاجابهم عليه السلام بانكم بلغتم بالفطانة والدراية الى درجة تعرفون أوقات الصّحو ـ أو المطر من احمرار الافق حين الغروب ، أو الصباح حين الطلوع . فان أهل الفلاحة وسكنة الارياف إذا رأوا ان الافق حين غروب الشمس محمرّ شديد الاحمرار اتخذوه علامة لصحو الهواء وانقشاع الغيوم ، وانقطاع الامطار ، واذا رأوه وقت طلوع الشمس محمرّا كالحا عبوسا قانياً اتخذوه علامة لنزول الامطار ، وتلبد الغيوم واشتداد الشتاء . فالخمهم عليه السلام بانكم تعرفون بفطنتكم وجه السماء . وتميزون أوقات تغيير الهواء . فلم لاتعرفون علامات أوقات ظهور الانبياء ، ومواقيت تجدد الشرائع والاديان ، وأنتم تعتقدون انكم علماء الدين ، وورثة النبيين ، وحفظة علوم الانبياء والمرسلين . فان تفرق العقائد واختلاف المذاهب ، وتشتت الاهواء ، وتباين الآراء ، وتهاون الناس بالاحكام والحدود الالهية ، وانهماكهم فى الشهوات الدنية واللذائذ الجسمانية التى عبر عنها الانبياء بانفطار السماء . وتزعزع أركان الافلاك ـ أقوى دليل على قرب ظهور مظهر أمر الله وأبين علامة لبلوغ ميقات تجدد دين الله . ثم قال عليه السلام (جيل فاسق شرير يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي) فكرر اطلاق لفظ الآية على المعجزة والاعجوبة كما كررو أكد لهم أن طلب المعجزات واقتراح الآيات على مظاهر أمر الله انما هو من شؤن الفجار ، وشأن الفسقة

والاشرار - كما سنبين سببه ان شاء الله *

وفي القرآن الكريم أيضاً أطلق لفظ الآية على المعجزة أو الاعجوبة كما جاء فيه نقلا عن المنكرين والمكذبين . (فليأتنا بآية كما أرسل الاوّلون) وجاء في سورة طه (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربّه أولم تأتهم بينةُ ما في الصحف الاولى) يعني كان المنكرون لنبوّته ، والمكذبون لرسالته يقولون لو انّ محمداً هو نبي بعثه الله ، ورسول أرسله الله لِمَ لَم يظهر لنا معجزةً الهيةً وأعجوبةً سماوية تدلنا على صدق رسالته وحقية كلمته فأجابهم الله تعالى بقوله (أولم تأتهم بينةُ ما في الصحف الاولى) يعني أما جاءهم القرآن العظيم الذي هو بيان التوراة والانجيل وسائر صحف انبياء بني اسرائيل ، وكتاب الله كما أثبتناه في البرهان الاول أوّل آية تدل على صدق الكلمة النبويّة . وأعظم برهان على الرّسالة الالهية . خصوصا اذا كانت هذه الآية العظيمة والمعجزة الكريمة مؤيدة ببيان ما كان مرموزا مكنوزا في الصحف الالهية القديمة ، ومكتوما مختوما في الكتب السّماوية العتيقة من الاخبار عن الامور الآتية من قبيل رموز الحشر والنشر ، وحوادث تجدّد الخلق والبعث ، وتعيين ميعادها وميقاتها ، وبيان علائمها ، وأشراطها . حتى ذكر مطلع أنوارها ، والتنصيص على محلّ ظهور آثارها وأسرارها . ممّا لم تقدر الفلاسفة والحكماء على فهمها وادراكها وحلّ رموزها وفك مختومها . قبل تحققها ووقوعها . فكيف بالأمي الذي لم يتعلم في مكتبة

ولم يقرأ بعد فى مدرسة ، ولم يعهد منه يوما ماسعى فى التعلم والتكميل . ولم يعد زمانا من أصحاب الكد والتحصيل . أليس ذلك أبين علامة على أنها آية سماوية ، وهبة روحانية ، وأعظم برهان على أنها كلماتٌ وعبارات صادرة عن الحقيقة القدسية ، ونازلة من الذات المقدسة الآلهية ،

وفى القرون الوسطى من القرون الاسلامية أطلق علماء الاسلام على تلك المعانى أى الامور الخارجة عن امكان البشر لفظ (المعجزة) باعتبار انها مما يعجز الخلق عن الاتيان بمثله ولفظ (خارق العادة) باعتبار أنه لم تجر عادة الخلق بفعله . ثم قسموا ماهو خارج عن الامكان الى أقسام ، وقالوا اذا صدرت خوارق العادات من انسان مقرونة بادّعاء النبوّة والرسالة تسمى (معجزة) واذا صدرت منه قبل البعثة والادّعاء تسمى (ارهاصاً) واذا صدرت تلك الخوارق من الاولياء والصلحاء تسمى (كرامة) واذا صدرت من المضلين والاشقياء تسمى (سحرا) أو استدراجا . فدارت تلك الالفاظ والمصطلحات على ألسنة الكتاب والعلماء حتى صارت ألفاظا كتابية وحقايق ثانوية ، ودخلت فى الكتب اللغوية ، الا أن ماسوى لفظة (المعجزة) التى لها مناسبة واضحة بالمعنى المقصود كلها مصطلحات تافهة واستنباطات باردة نشأت عن الجهل بالحقائق العلمية ، والمناسبات اللفظية كما لايخفى على أصحاب البصائر النيرة بالدقائق اللغوية خصوصا

فى لفظى الكرامةوخارق المادة . فان الكرامة لغة ضدّ اللآمة ، وقد يطلق على السخاوة . والكرامة المعطاة لاولياء الله هى عزّة النفس الحاصلة من التقرب الى الحضرة الالهية ، ولا مناسبة لها بتلك السفاسف الوهمية ، والمختلقات الخرافية . وأما خارق المادة فهو عبارة عما يخرق العوائد الجارية بين الناس ويغيرها ويبدلها . مثل عوائد الامة العبرية فى طقوس ديانتهم وآداب شريعتهم مثلا *

ولما كان من آثار ظهور مظاهر أمر الله تغيير احكام الديانة السابقة ، وتبديل طقوس الشريعة الماضية مثل ماتغير وتبدّل من شرائع اليهود بظهور المسيح له المجد . وما تغير وتبدّل من شرائع الصابئة والمجوس بظهور الرسول عليه السلام لهذا اتخذ أهل البصارة خرق العادة من أعظم آثار مظاهر أمر الله ، ومن أبين الدلائل على قوة كلمة الله ، وظهور انبياء الله كما أشار اليه بولس الرسول فى الفقرة (١٢) من الاصحاح السابع من رسالته الى العبرانيّين بقوله (ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس) يعنى اذا تجددت الرسالة والنبوّة فبالضرورة تتجدد الشرائع وتتغير الاحكام - وهذا هو المعنى الحقيقى المعقول من خارق العادة لاماتوهمه أصحاب الاوهام والسفاسف والخرافات . فان العدميّات لاتعتبر عوائد للناس حتى يصح اطلاق خارق العادة على ضدّها . فلا يقال إن عدم احياء الاموات مثلا كان عادة من عوائد الناس حتى يعتبر احياؤهم خارقا لهاء

ولا يقال انّ عدم شق البحر، وعدم جفاف النهر ، وعدم شق القمر مثلا كان من عوائد الناس حتى تتخذ تلك الامور خوارق لها . ولكن احترام يوم السبت كان عادة من عوائد اليهود. نخرقها سيدنا المسيح له المجد فتغيرت باحترام يوم الاحد ، والطلاق والذبيحة وتعدد الزوجات وكثير من امثالها كانت من عوائدهم وشرائعهم ــ نخرقها وبدّلها وغيرها ايضاً . وهكذا وأد البنات واحترام التماثيل والصلاة للاوثان وعبادة النار وكثير من هذا القبيل كانت من أعظم عوائد العرب والفرس نخرقها سيدنا الرّسول عليه السلام ، وبدّلها بالاحكام الاسلامية والشريعة النبوية ــ وهذه هي خوارق العادات التي عدها أولو البصائر من افعال النبيّين ومن شئون المرسلين ــ لا ما خلقه أوهام المتوهمين واختلقته أفكار الجاهلين *

وأما السّحر بالمعنى الذي تعتقده العامة. فهو من بقايا أوهام الازمنة المظلمة الغابرة التي أزاحت طبقات ظلماتها أنوار طلوع شمس الحقيقة وانقشع تراكم غيومها من هبوب نسائم العلم والمعرفة، وما جاء من لفظ السحر في كلمات الانبياء في الكتب المقدسة فمعناه الحقيقي هو (الباطل) اذ كان أعداء الانبياء يتمسكون بالاباطيل ، ويشتغلون بها وكانوا يحملون افعال الانبياء أيضا عليها فاطلق لفظ السحر والسحرة على الباطل وأصحاب الاباطيل في كلمات الاخيار . فادرجت في بطون الصحف والاسفار . ونسجت عليها عناكب الوهم على ممرّ

القرون والاعصار . وستر معناها الاصلى عن الافهام والانظار . كما هو الشأن فى جميع الالفاظ الواردة فى كلمات الابرار . وفى هذا كفاية لارباب البصائر والابصار *

فاذا عرفتم يا أهل البهاء معانى تلك الالفاظ المذكورة ـ فاعلموا انار الله بصائركم وزاد طيب سرائركم ، ونور بنوره الباهر قلوبكم وضمائركم ان الدليل والبرهان لابد ان يكون لهما ارتباط بالامر المدلل والمبرهن والا لا تعد برهانا ودليلا مهما كان مدهشا وعجيبا ، ومعجزا وغريبا . مثلا اذا ادعى مدع انه طبيب ، واستدل على صدق ادعائه انه يطير الى الهواء ثم طار فرضا . فبالضرورة لا يثبت صدقه بهذا الدليل اذ ليس الطيران الى الهواء من صفات فعل الطب ، ولا رابطة بين الطب والطيران وان كان نفس الطيران الى الهواء فى غاية الغرابة * بل معالجة الامراض وابراء المرضى وحفظ الصحة والمعرفة باسبابها وعلاماتها وقوانينها وآدابها هى من صفات فعل الطب وتثبت صدق قول الطبيب ـ وهكذا اذا ادّعى مثلا احد انه مهندس وحجته انه يحيى الموتى ـ أو ادعى أنه كاتب وحجته انه ينطق الاحجار ـ أو خطيب ودليله انه يشق البحار ويجفف الانهار . كل ذلك لا يثبت قولا ولا يصحح ادعاء ، ولا يعد دليلا ، ولا يعتبر برهانا اذ لا رابطة بين تلك الافعال وبين تلك المدعيات كما يظهر ويتضح بالضرورة والعيان . لمن يتفكر فى معنى الحجة والبرهان * قال الاستاذ الشهير

(كرنيليوس فنديك) الامريكانى فى الجزء الثامن من كتاب النقش فى الحجر وهو فى المنطق (وبما ان الانسان معرّض للخطأ فى الامور العقلية يوافقه ان يستعين بآلة قانونية تعصمه من الخطأ ، وترشده الى الصحيح حتى لايحسب علة ماليس بعلة ولا نتيجة ماليس بنتيجة ، ولا يبنى على أساس فاسد ، ولا يعد برهانا ماليس ببرهان)

وقال الامام الغزالى (لوقال قائل إن أربعة أكثر من عشرة ، وأنا أبرهن ذلك باحالة هـذه العصا حية لـكنت اندهش من حيلة العامل ولـكنى كنت أبقى على يقينى بان أربعة أقلّ من عشرة الى آخر قوله) معناه أن لاتعلق بين البرهان والامر المبرهن واذ ذاك فلا يعد برهانا انتهى *

فاذا عرفتم هذه المقدمة يمكنـكم أن تعرفوا بغاية السهولة أن لاتعلق ولارابطة ولا نسبة بين القدرة على اظهار المعجزات والعجائب وبين ادعاء النبوة والرسالة . فان الرسالة والنبوة ليست الا بعث انسان من قبل الله تعالى لهداية الخلق . فما هو ارتباط هذا المعنى بالقدرة على شق البحار وجفاف الانهار ، وانطاق الاحجار والاشجار مثلا ــ اذ ليست تلك الامور افعالا تلائم وتناسب معنى الرّسالة التى هى عبارة عن الوساطة بين الخلق وخالقهم لابلاغ احكامه ورسالاته ، وتعليم شرائعه وعباداته ولا لمعنى النبوّة التى هى عبارة عن البعث لهداية الخلق ، وتهذيب اخلاقهم وترقية الناس وتحسين آدابهم ، وانما مثل

من يطلب المعجزات من الانبياء ويقترح الآيات على مظاهر أمر الله مثل من يطلب افعال الملوك ذوى السلطة المطلقة من امرائهم وولاتهم ليثبت بها صدق اقوالهم فى ادعاء إمارتهم ، ويوجب على الرّعية اتباعهم فى ولايتهم والحال انه لا يثبت امارتهم الا فرمانات ملوكهم ولا يصدقهم سوى كتب دولهم . مثلا اذا ادّعى احدانه والى مملكة مصر من قبل السلطان واعترضت عليه جماعة من أهل هذه المملكة ، وطلبوا منه برهانا على صدق إمارته واثبات ولايته . فهو بالضرورة يستدل بكتاب سلطانه وفرمان دولته . فلو فرضنا انهم لم يذعنوا لكتابه ولم يكتفوا بفرمانه واقترحوا عليه أن يظهر لهم بعض افعال مرسله من خصائص الملوك والسلاطين - من قبيل جرّ العساكر ، وتجييش الجيوش ، وفتح الممالك وهدم الحصون ، وقتل الاشخاص ، وحبس النفوس ، وعزل الافراد ونصب الآحاد فهو بالبداهة والضرورة لا يتنازل لاجابة مسئولهم واسعاف مأمولهم ، ولا يتمسك بسوى فرمانه ، ولا يستدل بغير كتاب سلطانه ولو كان قادرا على بعض تلك الامور . ومتمكنا من اجابة طلب الجمهور . فان للقتل والحبس والنصب والعزل أوجرّ العساكر والجيوش وفتح الممالك والحصون دواعى ومواقيت لا تظهرها الولاة الا حينما تقتضيه الظروف ويجيزه القانون . والى هذه النكتة الدقيقة يشير ماجاء فى المصحف المجيد من قوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله) اذ ليس ارسال

الرسل ، وبعث الانبياء فى عالم الروح الا كنصب الولاة ، وارسال الامراء فى عالم الملك كما هو واضح لاهل الاستبصار وأصحاب الانظار *

فاذا عرفتم عدم ارتباط ادّعاء النبوّة والرسالة بالقدرة على الامور الغير الممكنة عادة ، وعدم العلقة والملازمة بينهما يمكنكم ان تعرفوا معنى ماذكرناه سابقا من أن العجائب والمعجزات من الادلة التأييدية الفرعية لا من البراهين الذاتية الاصلية ، وأنّ لها دلالة ثانوية على حقّية مظاهر أمر الله لا دلالة أولية . ويمكنكم أيضا أن تعرفوا سبب امتناع الانبياء عليهم السلام عن اظهارها والاستناد عليها – والاحتجاج بها كما يستفاد من الآيات الواردة فى الاصحاح (١٢) والاصحاح (١٦) من انجيل متّى حيث قال سيدنا المسيح له المجد . ان الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ولا تعطى آية الا آية يونان النبيّ . لان الانبياء عليهم السلام بسبب ظهور برهانهم ، وعظيم سلطانهم ونفوذ كلامهم ، وغلبة أحكامهم مستغنون عن الاحتجاج بالامور التى لا دلالة لها على صدق دعوتهم وحقّية رسالتهم دلالة ظاهرة أوّلية ، وحجّية واضحة جليّة سوى أن اقتراح الآيات وطلب المعجزات من مظاهر أمر الله هو عين تجربة الربّ التى نهى الله تعالى عنها فى التوراة المقدس وحذّر الشعب منها حيث قال جلّ وعلا (لا تجرّب الرب الهك) اذ لا يعقل تجربة ذات الله تعالى كما بيناه وقررناه سابقا الا بتجربة مظاهرها ومطالعها . فامتحان الانبياء عليهم السلام باقتراح الآيات عليهم وطلب ، المعجزات

منهم هو معنى تجربة الرب . وهي عين التكبر على الله والمكاشفة لارادته والمضادة لمشيئته، والمماكسة لحكمته وهي تنذر بالهلاك والدمار وتجر الى المحو والبوار . كما جاء في المصحف المجيد (وما نرسل بالآيات الا تخويفا) وبذلك أفحم السيد المسيح له المجد مارداً من شياطين اليهود حيث أقامه على جناح هيكل سليمان ، واقترح عليه ان يرمى بنفسه من ذلك المقام الشامخ الرفيع ، وقال له ان كنت انت ابن الله الحق أي المسيح الموعود تحفظك الملائكة كما هو في الكتاب مكتوب فاجابه المسيح عليه السلام (مكتوب أيضا في الكتاب لا تجرّب الرب الهك) يعنى ان امتحانه عليه السلام هو عين امتحان الله وتجربة الله ، وهو منهي عنه صريحا في كتاب الله *

وهذا الجواب على اختصاره ووجازته في غاية اللطف والاتقان فانه على مافيه من البرهان على عدم جواز اقتراح المعجزات على مظاهر امر الله أفحمه أيضا بانه حينما يستدل بالكتاب على معارضة المسيح عليه السلام هو بنفسه خالف كتابه ونسى أوامره وأحكامه، ومن المجرب المعهود من أخلاق اعداء الله انهم يتمسكون بظاهر آية من آيات كتاب الله في تكذيب مظاهر أمره ومطالع حكمه، وهم ينسون كثيرا من آيات الكتاب مما هو صريح في حقية ظهورهم مبرهن على حقيقة طلوعهم . مثبت لكلمتهم . مبشر ناطق بصدق دعوتهم . فتم فيهم ماجاء في الكتاب (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون

ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاخزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب)

وليس امتناع الانبياء عليهم السلام وإبائهم عن اظهار المعجزات لانها أمور مستحيلة ممتنعة لايمكن وجودها وتحققها كما توهمه بعض المتفلسفة ـ اذ ليس الامتناع والامكان من ذاتيات الاشياء بل هما من الامور الاضافية ، ومن الاوصاف النسبية فان كثيرا من المفاهيم يعد ممكننا لنوع من الانواع ، ومستحيلا على النوع الآخر فكما أن الافعال الخاصة بنوع الانسان ممكنة بالنسبة اليه ، وممتنعة على سائر أنواع الحيوان ، ومعجزة لها وخارجة عن امكانها ـ وكما أن الافعال الخاصة بالحيوان ممكنة بالنسبة اليها وممتنعة ومستحيلة بالنسبة الى النباتات ـ كذلك مفاهيم المعجزات أمور مستحيلة بالنسبة الى البشر ولكنها ممكنة بالنسبة الى مظاهر أمر الله بسبب كلّية الروح المقدسة المتجلية فيهم وإحاطة القوة القدسية النازلة عليهم . ولعمرى ان انسانا تجلت فيه القوة القدسية وظهرت منه سمات الربوبية فغلب على العالم وحده وقهر الامم بنفسه ،وأخبر عن الامور الآتية بجزئياتها وخصوصياتها مماصدقه ظهورها وصحتها بعد انقضاء دهور واحقاب . كلّ ذلك بكلّية روحه واحاطة قدرته وسموّ ذاته وبسطة قوّته لايعجزه شئ ولا يفوته أمر . فما أظهروه من الامتناع عن اجابة طالبي العجائب والاباء عن اسعاف مأمول مقترحى المعجزات لم يكن

ذلك عجزا منهم ، واستحالة وامتناعا عليهم بل لعدم دلالة تلك المعجزات والعجائب على صدق دعوتهم ، وحقية كلمتهم دلالة تامة اوّلية يكتفى به الطالب الجاهد والباحث المتفحّص - كما ذكرناه مفصلا . اذلايخفى على المحقق النبيه انه لواقتصر الامر فى مسألة اثبات حقية الانبياء على العجائب والمعجزات لينتهى الى تصادم الادلة وتعارض البراهين - اذليست تلك العجائب والمعجزات من الادلة الباقية الخالدة مثل آيات الكتاب تتناولها كل يد ، وتجدها كل نفس فيهتدى بالدّال الى المدلول ويستدل بالاثر على المؤثر . فلابدّ ان تنتقل تلك الامور الى سائر طبقات الناس بالروايات والاحاديث ، واخبار بعضهم بعضا خصوصا فى القرون التالية ، والاجيال الآتية . فاذا اعتبر مايرويه كلّ امة عن نبيهم وشارع ديانتهم بل عن رؤساء مذاهبهم وأئمتهم بل عن أتربة أوليائهم ومضاجع أصفيائهم كما هو واضح لدى الباحث الخبير حينئذ تتعارض الادلة وتتصادم البراهين ، ويخفى سبيل الحق وتنطمس اعلام الهداية ، ويظلم طريق الدّين ، وتعزب أنوار الحق واليقين * أليس الفرقة الكاثوليكية مثلا يروون عن أساقفتهم ورهبانهم الماضين من العجائب والمعجزات مثل مايرويه الارتوذكس عن رهبانهم ، واساقفتهم * ويتحدث أهل السنة والجماعة مثلا عن كرامات علمائهم وخوارق العادات الصادرة من أوليائهم مثل مايرويه الشيعة عن أئمتهم ورؤسائهم - وهكذا سائر الاديان والمذاهب والطرق

والمشارب * فاخلع ايّها القارىء الكريم عنك ثوب تقليدك القديم ، وابعد عن نفسك الاميال المذهبية ، والعواطف القومية ، واصعد بقوّة النظر الى ذروة التحقيق ، وضع قدّامك اصحاب الاديان والملل ، وارباب المذاهب والنحل * ثم انظر بنظر الانسان البصير . من ذلك المقام الشامخ الخطير . تر من الامم المتخالفة ، والملل المتناقضة المتباينة جماهير ممن يكفر بعضهم بعضا ، ويكذب كل واحد منهم الآخرين ، وبيد كل فرقة منهم كتب مدوّنة من العجائب . وصحف مملوءة من الغرائب . من معجزات انبيائهم وكرامات أوليائهم ، ومناقب أصفيائهم ، وعجائب حالات رؤسائهم مما لاتفى لقراءته الادوار . وينطوى قبل طيه واتمامه كثير من الاعمار *

ثم سرّح البصر اليها وامعن النظر فيها ، وقل لى بحقك لو تعتبر تلك المعجزات المتضاربة . والعجائب المتباينة برهانا يعتمد عليه . ودليلا يركن اليه . بمَ يتبيّن الصادق منهم عن كاذبهم ، ومحققهم من مبطلهم . وهاديهم من مضلهم . وبماذا تمتاز الهداية من الضلالة . وطريق النجاة من طريق الهلاكة *

فتبيّن بما بسطنا الكلام فيه ماذكرناه أولا من أن العجائب والمعجزات ليست من البراهين الأوليّة التى تدل دلالة مستقلة على حقية الداعى بل هى من الامور الثانويّة تدلّ دلالة تأييدية على حقية مظاهر أمر الله ومطالع دين الله فلا يمكن انكار صدور المعجزات

منهم لما بيناه من احاطة قدرتهم وشدّة قوتهم . ويشهد عليه تلامذتهم وأصحابهم ، وتحتويه كتبهم وكلماتهم . ولا يمكن أيضا الاعتماد على جميع مانسب اليهم ، وروى عنهم من العجائب والمعجزات . والاكتفاء بها عن سائر الادلة والآيات ـ لما ذكرناه من تناقض رواتها ، وضعف دلالتها . فالقاعدة الصّحيحة عند علماء الكلام واللاهوت فى هذه المسألة هى أنّ ماروى من المعجزات عن نبيّ من الانبياء ، أو شارع دين من الاديان ان لم يكن فيه مخالفة وتناقض لصريح كلام ذلك النبي أو الشارع . فهو حق لاريب فيه ، ويتخذ من الادلة على حقيته والبراهين المثبتة لصدق دعوته كما رآه وشهد به السابقون الاولون . ورأيناه ونشهد عليه من مظاهر أمر الله فى هذا القرن المقدس المبين . وان وجد بينهما تناقض ومباينة فهو من الاحاديث المأولة . والاخبار المرموزة يجب حله وتأويله الى مايوافق مشارب أنبياء الله . ويلائم بيانات مظاهر أمر الله ، والقاعدة الكلية المعتبرة عند أهل العلم والحكمة هى أن تلك العجائب أو المعجزات المروية عن الانبياء ان كانت راجعة الى كلية الرُّوح المقدس المتجلى فيهم ، واحاطته وقوّته وقدرته فهى من الامور الصحيحة الحقيقية ، والادلة الثانوية التأييدية ، والا فهى من الاحاديث المختلقة ، والاكاذيب الخرافية ، اختلقتها المحبة الكاذبة ، وأوجدها المروق عن المحجة الواضحة وفيما قلناه كفاية لمن أوتى بصيرة نيرة فى السنن الالهية . وما طبع

١٩٨٢

عليه العالم من النواميس الطبيعية *

﴿ وأما البرهان الرابع ﴾ فهو عبارة عن البشارات الواردة في الكتب السماوية في مجيء يوم الله وظهور من يظهره الله لهداية الامم في مواعيدها وتأسيس قواعد الديانة وتجديدها في مواقيتها . كبشارات موسى وانبياء بني اسرائيل عليهم السلام في ظهور المسيح له المجد مثلا . وبشارات النبي عليه السلام وأئمة أهل بيته في ظهور المهدي وبشاراتهم جميعاً في مجيء يوم الله ، وقيام الروح لاعلاء أمر الله . وهكذا بشارات شارعي سائر الاديان والشرائع ، ومؤسسي الامم والطرائق فانه ما من دين من الاديان الموجودة الا وخصص شارعه قسما من كتابه لبشارة من يظهره الله بعده ، ويجدد الدين ويجدده خصوصا في النجاة والمعاد الاخير والظهور العظيم الكبير في القيامة الكبرى ، والساعة العظمى . حيث اتفقت على بشارتها كلمتهم في جميع الصحف الاولى . وهذا البرهان أيضا من الادلة الواضحة . والحجج الظاهرة . والبراهين المعتبرة المثبتة لحقية مظاهر أمر ربنا العلي الاعلى . اذ أثبتنا في المقدمات الماضية ان ظهور مظاهر أمر الله تعالى انما هو في الحقيقة عبارة عن ظهور الحقيقة المقدسة الالهية الواحدة بالذات . والانبياء عليهم السلام هم جميعهم مظاهر تلك الحقيقة الواحدة والذات المتفردة لافرق بينهم ولا اختلاف في حقائقهم . وقد جرت سنة الله تعالى فيما مضى من القرون ، وخلا من الدهور انه كان يأخذ عهد ظهوره ثانيا

من الامم بألسنة انبيائه ورسله ، ويثبت تلك العهود فى صحائفه وكتبه ليكونوا منتظرين لمجيء يوم ظهوره ومستعدين للتنور من اشعة نوره ليتمسكوا بعروة دينه وتستضيء عقولهم من نبراس شرائعه وقوانينه * اذ لايعقل ان يستغنى أهل العالم يوماً ما عن الظهورات الالهية — أو يؤسس نظام الهيئة الاجتماعية على غير القواعد الدينية — أو تكتفى الامم بما عندهم من القوانين الوضعية البشرية . فان احتياج الامم الى شرائع وقوانين تحفظ بها حقوقهم واموالهم ودماؤهم ، وتكفل سعادتهم وبقاءهم أمر واضح لايحتاج الى مزيد بيان واقامة برهان . والديانة ليست الا عبارة عن قوانين الهية تصان بها الهيئة الاجتماعية، وتكفل لهم نيل السعادة الابدية — وهذه مما يعجز عن ادراكه اسمى عقول بنى البشر، ولم تبلغ اليه ، ولم تتفق عليه قط مدارك أهل العلم مالم يكونوا مستمدين من المصادر الالهية كما جرب فى حالات الامم الراقية سابقا فى معارج العلم والمدنية — أليست الامم العظيمة الصاعدة الى أعلى قمة الفضل والمجد من قبيل الفرس والقبط واليونان . والروم والهند والكلدان . عجزت فلاسفتهم وعلماؤهم وأكابرهم ورؤساؤهم على سعة معارفهم وسمو فضائلهم عن سن قانون تتفق عليه آراؤهم ويكفل سعادتهم وبقاءهم — أو يزيل من بينهم شيئا من العوائد الوحشية القبيحة التى تضحك منها اليوم ذراريهم واحفادهم وتستهزئ بها أعقابهم وأبناؤهم من قبيل ذبح الاولاد لدى الاوثان

وعبادة الاصنام ووأد البنات وهتك اعراض الحرائر تقرّبا الى آلهة الجمال، والصلوة للنار والحيوانات والانهار والاشجار، وكثير من أمثالها من الموبقات المدمرة، والمعاصى المهلكة مما كانت تحسبه عقولهم أحسن العادات. وأفضل أنواع الشرائع والعبادات. وقد نزعها الله تعالى وأزالها بظهور الديانات الآلهية، وتنورت عقولهم بالاستضاءة من كلمات المظاهر القدسية، ولم يزل يوجد كثير من أمثال هذه العوائد المهلكة والعقائد السخيفة الباطلة بين جميع الاديان الموجودة، والملل الحاضرة مما قدر الله تعالى محوها وزوالها ونسخها وإبطالها بظهور الرب القدير وورود اليوم العظيم الاخير. كما هو واضح لدى النبيه البصير *

فيظهر مما قلناه ان ظهور الديانات الآلهية أعظم موهبة سماوية لحفظ الهيئة الجامعة البشرية. وأجلّ منحة ربانية لتكميل الفضائل الانسانية. وتبشير الانبياء بظهورها ثانيا ليعدّ أصحاب العقول الراجحة لقبولها. وليهيء أرباب القلوب النقية لاجابتها. بعد ظهورها فتعدّ بشارات الانبياء بمن يظهره الله تعالى بعدهم لاحياء موات الدين. واقامة سنن الانبياء الماضين من أعظم الادلة والبراهين * وأجل الحجج المثبتة لحقية مظاهر أمر الله رب العالمين * الا ان فهم تلك البشارات، وادراك دقائقها وحقائقها موكول لاصحاب العقول الراجحة والقلوب النقية، وأرباب الصدور الطاهرة والنفوس الزكية * كما يظهر من المقالات الآتية ببراهين واضحة جلية — ولذلك تعدّ بشارات

الانبياء دليلا ثانويا بالنسبة الى الكتاب الالهى ، والبرهان العقلى لأن بشارات الانبياء انما هى من الادلة اللفظية . والادلة اللفظية بسبب ما فيها من الاستعارات والكنايات من اقسام المجاز ، وبسبب ان اللغات تتغير فى القرون والاجيال حتى قلما تفهم لغة بعد انقضاء الف سنة عليها بدون الترجمة . لا يمكن أن يعتمد على مفاهيمها بدون قرائن قطعية . ولذلك تعدُّ الادلة اللفظية عند الفلاسفة وأهل المنطق من الادلة الخطابية لا من البراهين القطعية ـ هذا سوى ان الكلمات الآلهية المحفوظة فى الكتب المقدسة كما هو مصرّح به فى نفس الكتب انما هى من العبارات المرموزة المختومة ، والمقاصدُ الاصلية منها مستورة غير معلومة . وفكُّ تلك الختوم وكشف تلك الرموز انما هو منوط بمجيء المنتهى وقيام الساعة الكبرى . فلا يمكن والحالة هذه الآن تعدّ البشارات ايضاً من الادلة الخطابية التأييدية لا من البراهين العقلية الاوّلية . ولنتكلّم ونبحث فى هذه المسألة فيما يلى مبسوطا ونستوفى الكلام فيها كاملاً فنقول (١) إعلموا أضاء الله وجوهكم البهيّة بنوره الباهر

(١) من هنا الى آخر المطالب الاربعة التى اختتمت بها المقدمة الثالثة وجد بالنسخة التى بأيدينا وكان ساقطا من النسخة التى أُرسلت من عشق آباد التى كانت منقولة من نفس خط المؤلف بمقابلة حضرة السيد مهدى. وكأنه حفظه الله كان يعلم مقدار الحاجة اليها ولزومها فى هذه المقدمة . فكتب يتمنى ان لو أُضيفت هذه

الوضّاح . وأيد كامتكم العالية بآيات اليسر والفلاح. انّه لمّا كان مقدرا في علم الله تعالى وعظيم حكمته أزلا يتم اصلاح العالم واتفاق الامم وزوال التحزب والاختلافات وانقضاء أمد الاوليات إلا بظهور الله العلى الابهى * ومجيء يوم الله العظيم الاعلى * فقد أخذ عهد ظهوره من كل الامم ونودى بساعة مجيئه وقيامه في أقطار العالم اذ لم يُوجدين من الاديان الاّ قرن شارعهُ ومؤسّسه قبولَ إيمانهم بالله بإيمانهم باليوم الاخير ، وأكد لهم أن ينتظروا النّجاة في ذالك اليوم الخطير * ولم ينقض ولم يمض قرن من القرون الماضية الاّ وكان فيه رجل الهى سماوىٌّ عالى الصوت رفيع النّداء ثابت العزيمة عظيم المضاء يصيح وينادى بمجيء الساعة الكبرى وحلول القيامة العظمى ، وقيام

المطالب التي تتعلق ببشارات الظهور الاعظم لهذه المقدمة ولو من أحد الاحباء تكميلا لهذا المبحث . فوجدناها والحمد لله برمتها مكتوبة بقلم المؤلف . وكانت ختام النسخة التي بأيدينا كما يظهر من عبارته في آخرها ، ولعله كتب المقدمتين الاخيرتين بعد ذلك التاريخ تتميما لموضوع الكتاب ، ومن هنا ظهر سر مغزى الامر المبارك بانا لانطبع الكتاب الا بعد مراجعة نسخة المؤلف حيث وجدنا بها مالم يكن موجودا بنسختنا من المقدمتين الاخيرتين ، والله أعلم ، وهو الحكيم الخبير (الفاني محي الدين صبري الكردي الكانيمشكاني)

الرّب الاعلى، وظهور جمال الله الابهى . حتى ملئت الآفاق من بشائر ذلك الاشراق * وبلغت الى السّبع الطباق * ودوّنت منها الكتب والاوراق * ولذلك ترون أهلَ كلّ ديانة من الديانات السّبع الموجودة فى العالم منتظرين مجيء السّاعة الكبرى ـ مدونة فى كتابهم الذى اتّخذوه كتابا الهيًا ، ووحيا سماويا . بجميع أشراطها وعلاماتها ، ووقائعها وحالاتها بجزئياتها وكلّياتها حتى أرض موعدها، ومحلّ اشراق نورها ، وزمان تحقُّقها، وتاريخ ظهورها كما هو معلوم ـ لمن تصفح تلك الكتب المذكورة وتعمّق فى بشاراتها، وأمعن النظر فى الغازها واشاراتها ـ ولما كان المقصود من انشاء هذا الكتاب هو تفسير مقاصد تلك البشارات وتبيين معانى تلك الاشارات فلنتكلم فى بعض مطالب كلية يتوقف عليها فهم آيات الكتب المقدسة وحلّ الغازها ورموزها، وفكّ أختامها وفتح كنوزها متوكلين على الله منزل الآيات ، ومظهر الحجج والبينات ، وكاشف ظلمات الاوليات من أقطار الارضين والسموات *

﴿ المطلب الاول ﴾ إن الانبياء ومظاهرَ أمر الله كانوا كثيرا ما يستعملون فى كلماتهم اقسام المجازات ، ويزينون بياناتهم اللطيفة الرائقة بانواع الاستعارات والتشبيهات . فانهم عليهم السلام كما كانوا من حيث الروح مظاهر اسماء الله وصفاته ومطالع حقيقته وذاته كانوا أيضا من حيث الجسد مظاهر الانسانية ومطالعَ جميع أوصاف البشرية من

قبيل الاكل والشرب والصحة والسقم والنوم واليقظة والتكلم والمفاوضة وغيرها من الاوصاف والشؤن والخلال والنعوت ـ بل كانوا عليهم السلام فى تلك الصفات والشؤن أفضلَ نوع البشر وأكمل افراده ، وتجلّى فيهم كلُّ نعت من نعوت الانسانيّة باجلّ تجليه وأجمل أوصافه ، فكما ان صفة حسن البيان ولطف التبيان ، وفصاحة النطق وبلاغة الكلام تعد فضيلة من فضائل البشر ، وكمالا من كمالات الانسان اذ هى من نتائج الطبع الرائق والذوق اللّطيف والقريحة الصحيحة والنّفس المشتعلة الغير الخامدة ـ كذلك هى فى المرسلين والانبياء والبررة والاصفياء . فانهم عليهم السلام كانوا أفضلَ أفراد البشر وأكمل نوع الانسان ، وكانوا اذوى طباع رائقة وأذواق لطيفة وقرائح فائقة ، ونفوس مشتعلة نورانية . فظهرت بياناتهم على هيئة الاناشيد وبرزت كلماتهم فى صورة المثانى ـ ففاقوا جميع الفصحاء والبلغاء فى سبك المعانى فى قوالب البيان ورصف الالفاظ ، وانسجام الكلام وسلاسة العبارات ، ولطف الاشارات ، وتسجيع الكلمات ، وترصيع الآيات ، واستعملوا فيها أنواع المجازات والتشبيهات ، وستروا المعانى الدقيقة تحت أستار الكنايات والاستعارات ، وخدّروا حور المطالب العالية فى قصور الآيات ، وأسدلوا عليها ستائر النكات والاشارات ولذلك رماهم أهل الضلالة بالشعر والمجون ، وتطرف بعضهم ونسبهم الى السفاهة والجنون * وغالوا وقالوا (أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون)

جهلا منهم بالكلمات الآلهية ، وعجزا عن التفريق بين الوحى السماوى والخواطر البشرية ، فتعالى عما يقول الظالمون ، وتقدس عما يتوهم الجاهلون *

﴿ المطلب الثانى ﴾ انّ جميع مانزل فى الكتب المقدسة من بشارات يوم الله ويوم القيامة وظهور الرّب، وورود السّاعة وأشراطها وعلاماتها وقائمها، وحالاتها كلها من الاستعارات التى ذكرناها والمجازات التى أشرنا اليها من قبيل ظلمة الشمس والقمر ، وسقوط النجوم وانتثار الكواكب ، وانفطار السماوات ، وتزلزلها وانهدامها، وتبدلها وتزلزل اركان الارض وتجدّدها ، وتشقق السماء بالدخان ، وامتلاء أرجائها من الغيم والضباب . ونزول الرب على السحاب . وكثير من أمثالها مما هو مذكور فى الكتاب ، ومعلوم لأولى الالباب * وبعبارة أوضح انه لابدّ ان تكون لتلك الالفاظ مقاصدُ معقولة ومفاهيم ممكنة ومعان غير المعانى الظاهرية ، ومدلولات غير المدلولات الاوّلية كماهو مصرّح به فى نفس الكتب المقدسة السّماوية . فانظروا ايدّكم الله بروح منه فى الآية التاسعة ومابعدها من الاصحاح السادس من سفر اشعيا النبى حيث قال (اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعا ولاتفهموا وابصروا أبصارا ولاتعرفوا - غلّظ قلب هذا الشعب ، وثقل اذنيه واطمس عينيه لئلا يبصرَ بعينيه ويسمعَ باذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى) وهذه الكلمات المقدسة صريحة فيما ذكرناه من ان المقاصد الاصلية

من الكلمات الالهية هي غير المعاني الظاهرية ، وهي التي ختم الله تعالى على قلب اليهود أن يفهموها، وطمس على بصائرهم ان يدركوها حيث حكم الله تعالى بذلهم وزوالهم ، وقضى عليهم بتشتتهم واضمحلا لهم لظلمهم وسوء افعالهم ، وعظيم ماصدر منهم في تكذيب السيد المسيح الذى كان ظهورُه أعظم آمالهم اذليس للأمم مصدرُ سعادة اوشقاء وموردُ عزة أوهوان سوى فهم أوعدم فهم كلمات انبيائهم وأصفيائهم في ظهور الموعود الذى هو مرجعهم ومآبهم ، وبمعرفته والايمان به عزّهم وبقاؤهم ولكن اليهود بسبب انهم حملوا العبارات النازلة في ظهور الموعود من قبيل ظلمة الشمس والقمر ، وسقوط النجوم ورعى الحمل والذئب معا ، ولعب الصبي بالصلّ والافعى وغيرها من العلائم الكبرى على المعاني الظاهرية ، ولم يروا وقوع تلك الآيات بظواهرها في ظهور السيد المسيح – وقيام الديانة النصرانية . وعجزوا عن فهم المعاني المقصودة الاصلية من تلك العلائم الكلية تجرّءوا على تكذيب سيدنا المسيح له المجد ، وتسرّعوا في ردّه وانكاره عليه السلام . فحتم عليهم الهلاك وضربت عليهم الذلة والهوان ، وتشتتوا في جميع الممالك والبلدان * وخسروا الى يومنا هذا كمال الخسران * ولو ادرك اليهود المعاني المقصودة من تلك الآيات ، وفهموا حقائق تلك العلامات لآمنوا بالسيّد المسيح له المجد ، وصعدوا الى الذروة العلياء والمجد الاثيل بسبب الايمان به عليه السلام كما هو صريح الكتاب . ومعلوم لدى أولي الالباب *

وكذلك جاء فى الآية الرابعة من الاصحاح الثانى عشر من كتاب دانيال النبي (أما انت يادانيال فاخف الكلام واختم السفر الى وقت النهاية)

وجاء فى الآية التاسعة من هذا الاصحاح أيضا فقال (اذهب يادانيال لان الكلمات مخفية ومختومة الى وقت النهاية) وهاتان الآياتان تدلان دلالة صريحة على أن المقصود من عبارات الكتاب ليس معانيها الظاهرية ، ومفاهيمها العرفية التى يفهمها كل انسان ، وتدركها كل نفس بل لها معان خفية ومقاصدُ دقيقة ولا بدّ من ان تبقى تلك المعانى والمقاصد خفية ومستورة الى مجيء النهاية وطلوع شمس الحقيقة *

﴿ المطلب الثالث ﴾ أن تلك الآيات العظيمة التى ذكرناها نزلت وجاءت فى جميع الكتب السماوية على نهج واحد وان اختلفت لغاتها ، وبعبارة أوضح انّ علامات مجيء يوم الله ، وأمارات ظهور مظهر أمر الله ، وأشراط الساعة وآيات القيامة نزلت على لسان الانبياء والمرسلين على طريقة واحدة ، وباستعارات وتشبيهات واحدة وان اختلفت السنتهم ، وتغيرت لغاتهم . فكما أن الرسول عليه السلام أخبرعن مجيء الرّب من السماء فى ظلل من الغمام والملائكة بقوله تعالى (هل ينظرُون الا أنْ يأتيهم اللهُ فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامرُ والى الله ترجعُ الامور) وبقوله تعالى (يوم

يقومُ الرُّوحُ وَالملائكةُ صفاً لا يتكلمون الا من أذن له الرحمنُ وقال صوابا) وبقوله تعالى أيضاً مخاطباً للنَّبي عليه السلام (وجاء ربك والملكُ صفاً صفاً) وأخبر عن امتلاء الفضاء بالدخان بقوله تعالى (يوم تأتي السماء بدخانٍ مبين) وأخبر عن ظلمة الشمس والقمر ، وانتثار الكواكب وانفطار السماء وتزلزل أركان الارض بقوله تعالى (إِذَا السَّمَاء انفطرت وإِذا الكواكبُ انتثرت) وبقوله تعالى (إذا السَّماء انشقتْ وأذِنتْ لِرَبّها وحقتْ وإِذَا لارضُ مدَّت) وبقوله تعالى (فاذَا برِقَ البصَر وخسَفَ القَمرو جُمِعَ الشَّمسُ والقَمر) وبقوله تعالى (إِذَا الشَّمسُ كوِّرَتْ وَإِذَا النَّجومُ انْكَدَرتْ) وبقوله تعالى (يا أَيّها الناسُ اتقُوا رَبكُمُ إِنَّ إِنَّ زَلزَلةَ الساعَةِ شيءٌ عَظيمٌ يومَ تَرَونها تذهلُ كلّ مُرضِعةٍ عمّا أرْضَعتْ وتَضعُ كلّ ذَاتِ حَمْلٍ حملهَا وتَرَى الناسَ سُكارَى وَما همُ بِسكارَى ولكنَّ عَذَابَ اللهِ شديدٌ) وأخبر عن تبديل الارض والسماء ، وتجددهما بقوله تعالى (وما قدروا الله حقَّ قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وبقوله تعالى (يوم نطوى السماء كطيّ السجلّ للكتب) وبقوله تعالى (يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) الى كثير من الآيات العظيمة التى لا محل لذكرجميعها ، واستقرائها وتفصيلها واستقصائها ـ كذلك جاءت تلك

الآيات مطابقة لما في الانجيل المقدس مما أخبر الله عنها في الاصحاح
(٢٤) من انجيل متى بقوله (وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم
الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تتساقط من السماء) الى
آخر هذه الآية حيث جاء فيها جميع ماجاء في القرآن من نزول الرب
على الغمام ، وقيام الملائكة ، وتزلزل اركان الارض وغيرها من العلامات
العظيمة ، والآيات الخفية الجسيمة ـ وكذلك جاءت في الاصحاح
الثالث من الرسالة الثانية لبطرس الرسول أخبارٌ صحيحةٌ في زوال
السماء والارض ، وانحلال العناصر ، وانعدامها ، واحتراقها ، ومجىء
السماء والارض الجديدة بانوارها واشراقها . وفي الاصحاح (٢١) من
سفر لرؤيا أخبر عن السماء الجديدة وطىّ الاوليات ، وزوال الامور
العتيقة الموجبة المصائب والبليات وغيرها من الملائم والآيات
وكذلك جاءت تلك الآيات بالفاظها وأطوارها في التوراة المقـدس
وكتب انبياء بنى اسرائيل من العهد العتيق طبقا لما جاء في الانجيل
المقدس والقرآن المجيد * فقد أخبر الله تعالى في الآية (٢٣) من
أصحاح (٢٨) من سفر التثنية بتغيير السماء والارض على بنى اسرائيل
انذارا لهم بمعاصيهم ، وتبشيرا بقرب مجىء الرب حيث قال (وتكون
سماؤك التى فوق رأسك نحاسا والارض التى تحتك حديداً ويجعل
الرب مطر ارضك غباراً وترابا ينزل عليك من السماء حتى تهلك)
وأخبر عن تجديد السماء والارض ، وزوال الاوليات وانقضاء أمد

المصائب والبليات في الآيات (١٧) ومابعدها من الاصحاح (٦٥) من كتاب اشعياء النبي حيث قال (لأني ها أنا خالق سموات جديدة وارضاً جديدةً فلا تذكر الاولى ولا تخطر على بال بل افرحوا وابتهجوا الى الأبد فيما أنا خالق لأني ها أنا ذا خالق أورشليم بهجة، وشعبها فرحا فابتهجُ باورشليم وافرحُ بشعبي ولا يسمع فيها بعدها صوت بكاء ولا صوت صراخ) وكذلك جاء في الآية (٢٩) من الاصحاح (٦٦) من هذا الكتاب (لأنه كما ان السموات الجديدة والارض الجديدة التي أنا صانع تثبت أمامي يقول الرب هكذا يثبت نسلكم واسمكم) وأخبر عن امتلاء الفضاء بالضباب والسّحاب وعن الظلمة والخراب، وارتفاع نداء رب الأرباب في الاصحاح الاول من كتاب صفنيا حيث قال (قريبٌ يوم الرب العظيم، قريبٌ وسريعٌ جدّاً صوت يوم الرب حينئذ يصرخ الجبارُ مرّاً ذلك اليوم يومُ سخط يومُ ضيق وشدّة يومُ خراب ودمار. يومُ ظلام وقتام. يومُ سحاب وضباب) وأخبر عن تزلزل الارض والسماء، وظلمة الشمس والقمر والنجوم قدّام ظهور الرب وقبيل مجيء اليوم المعلوم في الآية (١٠) من الأصحاح الثاني من كتاب يوئيل حيث قال (قدامه ترتعد الارض وترجف السماء الشمس والقمر تظلمان والنجوم تحجزُ لمعانها) وقال في الآية (٣١) من هذا الاصحاح (تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف) وأخبر في الاصحاح الثاني من كتاب حجي

عن تلك الآيات أيضا حيث قال (لانه هكذا قال ربّ الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والارض ، والبحر واليابسة وأزلزل كل الامم ويأتى مشتهى كل الامم فأملأ هذا البيت مجداً)

فيظهر جليا واضحا ــ لمن تدبر وتفكر وتعمق وأمعن النظر فى الآيات المذكورة ان مقصود الانبياء والمرسلين بيان حقيقةٍ واحدةٍ من تلك العبارات ، وجميعهم أطلقوا تلك الالفاظ على سبيل الاستعارة والمجاز لبيان مطلب واحد وان تغيرت لغاتهم وتعددت ألسنتهم وتباينت بلدانهم وأزمانهم ، وسببه الاصلى هو أن منزل الكتب ومرسل الرسل وباعث الانبياء وشارع الشرائع كما بيناه فى مسألة التوحيد هو الله الواحد أخبر دائما عن مجيء يوم واحد عبر عنه بالساعة الكبرى والطامة العظمى ، فلابدّ وأن تكون مقاصده أيضا واحدة فى بيان أشراطها وتعداد علائمها وأماراتها *

﴿ المطلب الرابع ﴾ هو ان جميع الكتب المقدسة فيها نصوص وتصريحات بان تلك الآيات التى ذكرناها مغلوقة مختومة ، وأبواب فهمها وادراكها مسدودة الى مجيء النهاية ، وورود القيامة . خاب من رامها قبل ورود ذلك اليوم العظيم ، وضلّ من فسرها قبل قيام الرّب القديم . كما يدلكم ماجاء فى الآية العاشرة من اصحاح (٦) من كتاب اشعياء حيث قال (غلّظ قلبَ هذا الشعب وثقل اذنيه واطمس عينيه لئلا يبصرَ بعينيه ويسمع باذنيه ويفهم بقلبه ويرجعَ فيُشفى فقلتُ

الى متى أيها السيد فقال الى أن تصيرَ المدنُ خربة بلا ساكن، والبيوت بلا انسان، وتخرَبُ الارض وتقفر، ويبعد الربُّ الانسان ويكثر الخراب في وسط الارض) وقد جاء في الآية الرابعة من الاصحاح الثاني عشر من كتاب دانيال النبى (أما أنت يادانيال فاخفِ الكلامَ واختم السفرَ الى وقت النهاية . كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد) وجاء فى الآية (٩) من هذا الاصحاح ايضاً (اذهب يادانيال لان الكلمات مخفية مختومة الى وقت النهاية كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحّصون أمّا الاشرار فيفعلون شرا ولا يفهم أحد الاشرار لكن الفاهمون يفهمون) وهذه الآية صريحة واضحة دالة على ان المقاصد الاصلية من علائم يوم الله، وظهور الرب، ومجىء المنتهى خفية غامضة مغلوقة مختومة لا يفهمها أحد الى مجىء النهاية، وورود الساعة وحينئذ أيضا لا يفهمها الاشرار ولا يدرك معانيها الاصلية المقصودة الا البررة والاخيار *

وانى فى سنة (١٨٨٨) من التاريخ الميلادى المطابق لسنة (١٣٠٦) من التاريخ الهجرى لما سافرت من طهران الى اصفهان ونزلت أياما فى مدينة كاشان انعقدت جلسة مناظرة فى بيت أحد من التجار اسمه حق نظر (أى الماذار) للنظر فى براهين الظهور، وعلائم مجىء يوم النشور حيث كانت تلك الايام أوائل انتشار الكلمة فى احفاد الخليل، ونفوذ الايمان فى آل اسرائيل، وكان المحفل حافلا بكبار اليهود ومشائخهم

وسراتهم ودعاتهم ، وفيهم ثلاثة من كبار علمائهم ومشاهير ازكيائهم وأحدهم اسمه (مردخاى) شيخ يناهض السبعين ، وكان رجلاحسن الوجه بشوش المحيا ، واسع الاطلاع باللغة العبريّة لطيف المحاضرة فى المناظرة العلمية – فلما دار الكلام بيننا فى براهين أمر الله ، وطال المقال وظهر بطلان جميع شبهاته – وسقطت وسائل ايراداته وانتقاداته تمسك أخيرا بظواهر العلامات والأمارات ، وتشبث بعدم تحقق الاشراط والآيات . وقال لابد قبل ظهور الموعود من ظلمة الشمس والقمر وسقوط النّجوم ورعى الحمل والذئب والبقر والاسد معا ، ولعب الاطفال بالأفاعى والحيات ، واعتزاز الشعب المقدّس فى كلّ الجهات . والحال انه لم تظهر بعد هذه العلامات ولم يتحقق صدق وعود الانبياء فى هذه المنصوصات – فأجبته وقلت له أخبرنى أيها الشيخ المحترم هل أنت وحدك تفهم من تلك الآيات هذه المعانى الظاهرية وتحملها على معانيها اللغويه أم جميع اليهود يفهمونها كذلك ولا يصرفونها عن الظواهر – فقال نعم جميع اليهود من الشرقيين والغربيين والاسياويين والاروبيين يفهمون تلك البشارات مثل مافهمت ، ويفسرونها كما فسرت – ولذلك لم يعبأوا بدعوة يسوع ومحمد ولم يعتبروهما من الانبياء الصادقين الذين أخبر عنهم موسى اذلم يظهر شيء من تلك العلامات الصريحة فى ظهورهما ، ولم يتحقق وعد النبيين فى أيامهما . فقلت أنا قرأت فى كتاب اشعيا النبي ان الله

تعالى أمره بان يختم على قلوب بنى اسرائيل ويطمس بصائرهم لئلا يفهموا معانى الكتاب المقدس ، وأمر دانيال النبى بان يختم الكتاب ويغلق معانيه فهل صح ذلك أم لا فقال أى نعم وهذا أمر منصوص لا يقبل الشك والترديد ، فقلت له اذا أمر نبى جليل بختم قلوبكم وطمس أبصاركم لئلا تفهموا الكتاب ، وأمر رسول عظيم بختم الكتاب واخفاء معانيه وستر مقاصده واغلاق مراميه أخبرنى ايها الشيخ المبجل مَن الذى يعتمد بعد هذا على فهمكم وتفسيركم ، ويعتبر بياناتكم وتقريركم اذلو اعتبرت تفسيراتكم للكتب المقدسه صحيحة ومعرفتكم بمعانى آيات الله حقيقة لما يتم حينئذ ختم القلوب والالباب ولم يبق معنى لختم السفر واغلاق الكتاب . فأرتج عليه وأفحم فى الخطاب ، ولم يقدر على الجواب ، وتهللت واستبشرت وجوه الاحباب *

وفى الانجيل المقدس أيضا شواهد كثيرة على اغلاق معانى الآيات وصعوبة فهمها وادراكها ودقة معانيها ومقاصدها حتى إن تلامذة السيد المسيح له المجد وهم انصار الله وأولياؤه كثيرا ما كانوا لا يفهمون معانى كلماته ، ويسألون منه حلّ رموز بياناته ، فانه عليه السلام كان فى غالب الاحيان يكلمهم بالرّموز والالغاز ، ويعلمهم بالدقائق والامثال كما يدلّكم عليه ماجاء فى الآية (٣٤) ومابعدها من الاصحاح (١٣) من انجيل متّى حيث قال (هذا كلّه كلم به يسوع (المسيح) الجموع بامثال . وبدون مثل لم يكن يكلّمهم لكى يتم بالنبى القائل

سأفتح فمي بالامثال وانطق بمكنونات منذ تأسيس العالم)

ومن المعلوم لارباب النباهة ان المواعظ والنصايح والاحكام والحدود الواردة في الكتب المقدسة ليست من الامور المكتومة والمعاني المختومة حتى يبينه المسيح له المجد بالامثال والالغاز أو يستره تحت ستائر الاستعارة والمجاز ، فان الانبياء عليهم السلام بينوا الشرائع والاحكام بصريح البيان وفصيح الكلام بلا تأويل وتلميح وضرب من الستر والابهام لتحفظ أحكامُ العبادات والمعاملات بين الانام وتصان بها الهيئة الاجتماعية في جميع القرون والايام، بل المراد من الامور المكتومة منذ تأسيس العالم هو رموز الحشر والنشر ودقائق القيامة والبعث، وظلمة الشمس والقمر ، وسقوط الكواكب والنجوم وامتلاء الفضاء بالغيوم، ومجيء الرب على السحاب، وقيام الاموات من التراب ، واشراق الارض مشارقها ومغاربها بانوار رب الارباب ، وغيرها من الآيات العظيمة النازلة في الكتاب ، مما كانت لم تزل معانيه ومفاهيمه غامضة مستورة مغلقة مختومة على وجوه الطلاب ، ولكن سيدنا المسيح له المجد والبهاء وعدهم بفك تلك الختوم وفهم تلك الانبياء حينما ينزل الرب من السماء ، ويبين لهم حقائق تلك الاشياء كما يدلكم عليه ما جاء في الآية (١٢) من الاصحاح (١٦) من انجيل يوحنا حيث قال عليه التحية والثناء (انّ لي أمورا كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن وأما متى جاء ذاك روح

الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لايتكلم من نفسه) وفى الاية (٢٧) من الاصحاح (٦) من هذا الانجيل أيضاً (اعملوا لاللطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الابدية التى يعطيكم ابن الانسان لان الله الأب قد ختمه)

ومن المعلوم لدى أولى البصائر ان مصدر الحياة الابدية هو الكلمات الالهية كما قال المسيح عليه السلام فى جواب المجرب (ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله) فاذا ختم الله تعالى كلماته التى هى مصدر النجاة ، ومبعث الحياة فلايمكن لأحد أن يفك ختمه الا هو نفسه ـ وكذلك خصّ التنزيل بالانبياء والتأويل بالرب تعالى حينما ينزل من السماء ويرفع الغطاء عن كل الاشياء ، وآيات القرآن صريحة بأن تأويل كلماته انما يأتى فى يوم معلوم وأجل مسمّى كما يدلكم عليه مانزل فى سورة الاعراف حيث قال جل جلاله (ولقدْ جئناهمُ بكتابٍ فصّلناهُ على عِلمٍ هُدى ورَحمةً لقومٍ يؤمنونَ * هلْ ينظرُونَ الاّ تأويلهُ يَومَ يأتى تأويلهُ يقولُ الذينَ نسُوهُ منْ قبلُ قدْ جاءَتْ رسلُ ربنَا بالحقّ فهلْ لنا منْ شُفعاءَ فيشفعوا لنَا أوْ نُرَدّ فنعملَ غيرَ الذِى كنُا نعملُ قدْ خسرُوا أنفُسهُمْ وضلّ عنهمْ ما كانُوا يفترُون) وقال أيضاً فى سورة يونس (بلْ كذّبوا بِمَالمْ يحيطُوا بعلمهِ ولما يأتِهِم تأويلهُ) فكأن أكابر قريش وزعماء العرب كانوا يعتقدون إمتناع تحقق تلك الآيات ويرون وقوعها من

المستحيلات، وكانوا يقولون بأن محمدا يغرّر بقومه، ويستهوى بأصحابه ويعدهم ويمنيهم بما لا يعقل وقوعه، ويستحيل ويمتنع تحققه ووجوده فنزلت هذه الآيات المذكورة مصرحة بان لهامعان وتأويلات سوف يظهرها الله تعالى فى اليوم المعلوم، ويفك ختمها، ويكشف عن حقائقها ظهورُ الحىّ القيوم - وليس المراد من التأويل الامعان غير ظاهرة أطلقت عليها تلك الالفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه. فسترت تلك المعانى العالية المقصودة تحت ستائر تلك الاستعارات وخدّرتْ حور مقاصدها الجميلة فى قصور تلك الاشارات فبقيت خفيةً غامضة مقصورةً مستورة مدى الدهور والاجيال. لم تدركها اسمى عقول بنى الانسان، ولم يطمثهن انس قبلهم ولاجان. الى أن اذن الله تعالى برفع حجابها، وكشف نقابها، وفكّ ختومها، وفتح أبوابها فتهلّلت وجوه حور معانيها، وابتسمت ثغور جميلات تأويلاتها ومراميها، وفتحت أبواب جناتها وانتشرت نفحات آياتها، وملئت آفاق الارض بطيب شميمها وانتثرت أوراق زهور الحقائق بهبوب نسيمها. فتعطرت مشام الابرار من طيب ريّاها. وأحييت القلوب بلطيف مغزاها فظهرت حقائق الكتب المقدسة السماوية لاصحاب القلوب الحيّة والنفوس المرضية كما سيظهر من التفاسير التى سنتلوها على أرباب البصائر النيرة، والافئدة النقية - وهنا نضع القلم ونطوى المقال، ونكتفى بما كتبناه من باب المقدمة على سبيل الاجمال، فقد جاء الربيع وضاق

المجال ، وأنى أوان الارتحال ، واقترب زمان الطيران من أرض الفراعنة الى بلاد القياصرة ، وقضت الظروف بمبارحة مصر والتوجه الى الممالك الاروبية متوكلا على الحضرة الالهية ، ومستمدا من القوة البهائيـة ، متمسكا بعروة الميثاق . مستنيرا من أنوار نير الآفاق

وقد تمت المقدمة فى يوم العيد المبارك الاضحى عاشر ذى الحجة سنة (١٣١٨) من الهجرة المقدسة فى بور سعيد *

المقصد الرابع

﴿ فى بيان قياس الأدلة الاربعة ونسبتها الى ظهورات مظاهر أمر الله ﴾

فاذا عرفتم أيها الابرار حقيقـة البراهين الاربعـة ومقادير حجيّتها ودلالاتها على حقيّة مظاهر أمر الله « فاعلموا أضاء الله وجوهكم البهية بنوره الباهر الوضّاح ، وأيد كلمتكم العالية بآيات اليسر والنجاح ، أن هذه الادلّة والبراهين تثبت حقيّة مظهر أمر الله فى زماننا هذا أكثر وأوضح وأجلى مما كانت تدل على حقيّة مظاهر أمر الله فى الازمنة السابقة . والاجيال الماضية . فكما أننا تكلمنا فى ماهية تلك البراهين وحدودها وتعاريفها ، وسبب حجيّتها ودليليّتا على وجه العموم . فلنتكلّم ثانياً فى نسبتها الى كل واحد من مظاهر أمر الله على وجه الخصوص ليظهر ويثبت ان هذه البراهين قائمة ومتوفّرة فى هذا الظهور الاعظم الاسنى ، والطلوع الانخم الأبهى ، ونعنى به ظهور سيدنا البهاء جلّ اسمه وعزّ ذكره اكثر

مما توفَّر فى ظهور مَن سبقه من الانبياء بحيث لو أنكر احد هذا الظهور الاعظم، وأنكر أدلته وبراهينه الواضحة الجليّة لا يمكنه اثبات حقية دين من الاديان الماضية كما يتضح جليًا من المباحث الآتية *

انظروا أيّدكم الله تعالى بروح منه فى أمر سيدنا موسى عليه السلام والدليل الذى يمكن أن يستدل به بنو اسرائيل فى اثبات حقية دينه من الادلة الاربعة التى ذكرناها وفصلناها *

(أما الكتاب) الذى اعتبرناه أتم دليل وأعظم برهان فلا يوجد ما يستند الى موسى عليه السلام الا التوراة المقدس أى الاسفار الخمس المضبوطة فى العهد القديم ـ وهذا الكتاب كما سنوضحه ان شاء الله تعالى فى مقامه لا يمكن ان يستند شيء منه الى موسى عليه السلام الا الكلمات العشر الواردة فى الاصحاح الخامس من سفر التثنية ، والنشيد والبركة الواردتين فى الاصحاح (٣٢) والاصحاح (٣٣) من هذا السفر أيضاً . وباقى ما فى الاسفار الخمس إما شرائع وقوانين كتبها ودوّنها يوشع بن نون خليفة موسى عليه السلام على شعبه وألحقها باصل التوراة كما يظهر من الفقرة (٢٥) من الاصحاح (٢٤) من سفر يشوع ـ وأما التواريخ والقصص فقد كتبها وصنفها عزرا الكاهن بعد جلاء بابل ورجوع الشعب الى سوريا وبناء القدس ثانياً بامر الملك الكبير (اردشير) ملك الفرس كما يتبين بعد الفحص الدقيق من التاريخ القديم *

(وأما البرهان العقلى) أى القوة السماوية المعطاة لمظاهر أمر الله لتشريع الشرائع وتهذيب أخلاق الناس. فيظهر مقدارها من مقدار تأثير كلمتهم فى هداية الامم وان كانت لها رابطة أيضا باستعداد النفوس لقبول الهداية . ومن المعلوم ان الكلمة النبويّة فى ظهور موسى عليه السلام لم تؤثر الاّ فى هداية أمة واحدة وهم بنو اسرائيل سكان فلسطين سابقاً . وبعبارة أوضح ان كلمة موسى وانبياء بنى اسرائيل عليهم السلام فى مدة الف وخمسمائة عام انما أثّرت ونفذت فى أمة واحدة من الامم القاطنة فى مملكة سوريا ولم يظهر لها اثر ونفوذ فى الامم والممالك الأخرى *

(وأما البشارات) فلم يبق كتاب من كتب الانبياء الذين ظهروا قبل موسى من قبيل ادريس ونوح وابراهيم الخليل عليهم السلام ولم يوجد ذكر له أو اشارة اليه فى كتب شارعى سائر الاديان الموجودة من قبيل البوذية والبرهميّة والزردشية والصابئة . فليست ثمة بشارة يستدّل بها على حقية الدّيانة الموسوية *

نعم توجد عبارة واحدة فى اخنوخ السابع من ولد آدم ويظن بعض كبار المؤرخين انه هو المعبر عنه بادريس عليه السلام فى الكتب العربية وبقيت تلك العبارة محفوظة فى رسالة يهوذا القديس وهى تشير بل تصرّح الى ظهور الله أو ظهور الرّب فى ربوات من النفوس القدسية ولا رابطة لها بظهور موسى عليه السلام ، ولا بغيره من الظهورات النبويّة *

(واما المعجزات) فلا يوجد لها مصدر يثبت ظهور معجزة من موسى عليه السلام الا الاسفار الخمس أو تصديق الذين ظهروا بعده مثل سيدنا المسيح له المجد ـ والرسول عليه السلام حسب اعتقاد المسلمين ـ ولما أنكر اليهود حقية هذين الظهورين فكم يصعب عليهم اثبات معجزات موسى للبوذية والبرهمية وغيرهم من الملل الكبرى إذ ليس لها مأخذ الا رواية انسان واحد هو عزرا الكاهن . فما اضعفها سندا كما لا يخفى على أصحاب البصيرة والنهى *

ثم انظروا ايدكم الله تعالى بقوة من ملكوته فى أمر السيد المسيح له المجد والادلة والبراهين المثبتة لحقية كلمته المباركة وصحة دعوته المقدسة *

(أما الكتاب الالهى) وهو الانجيل المقدس فهو يحتوى على تعليمات يمكننا ان نحسبها حقا كلمات الله وهى لا تتجاوز بضع صفحات معتدلة . والباقى أحاديث وأخبار كتبها ودونها تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه عليه السلام فى تاريخ حياته ومجارى حالاته على ان تلك التعليمات لم تحفظ على لغتها الاصلية التى كانت اذ ذاك لغة الشعوب القاطنة فى البلاد السورية ولم تكتب ولم تدون فى زمانه عليه السلام أيضاً . بل كتبت ودونت بعد صعوده عليه السلام الى سماء جوار الله فى أزمنة متفاوتة بين أربعين سنة الى تسعين سنة من تاريخ ولادته كما صرح به مؤرخوا اروبا وترجمت الى اللاتينية واليونانية فى أزمنة أخرى *

(وأما المعجزات) والآيات التي ظهرت منه عليه السلام فمصدرها الاناجيل الاربعة ـ أي ترجع جميعها الى رواية أربعة أشخاص من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه على ما في أكثر عباراتهم من الاستعارات والرموز التي تصرفها غالبا عن المعاني الظاهرية . فانظروا في الاصحاح التاسع من انجيل يوحنَّا حيث جاء فيه ان المسيح له المجد أبصر أعمى ووقعت بسببه بين الفريسيين مناقشة . ثم جاء في الآية (٣٩) منه ان عيسى عليه السلام قال (لدينونة أتيت انا الى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون) وهذه الآية صريحة في انه عليه السلام أراد بالعمى الجهل والضلالة ، وبالبصر العلم والهداية كما يزيده صراحة ما جاء بعد هذه الآية حيث قال (فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين وقالوا له ألعلنا نحن أيضاً عميان . قال لهم يسوع لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطيئة ولكن الآن تقولون اننا نبصر فخطيئتكم باقية) فمن أين يُعرف أن ما جاء في أوّل هذا الاصحاح انه عليه السلام أبصر أعمى ليس من هذا القبيل . خصوصا اذا نظر الانسان الى عوائد كتاب اليهود في تلك الازمنة القديمة فانهم كانوا كثيراً مّا يستعملون الرموز والالغاز في كتبهم وانشاآتهم ويسترون المعاني تحت الاستعارات الدقيقة الغامضة في مؤلفاتهم ومصنفاتهم *

قال العالم المؤرّخ يوحنا لورنس فان (مُوسْهِيم) رئيس مدرسة (كوتنجن الكلية) في كتابه تاريخ الكنيسة الذي ترجمه العالم

الفاضل يعقوب مردوك الامريكانى من اللغـة اللاتينية الى اللغة الانـكليزية. ثم ترجمه القسّ (هنرى هرس جسب) الامريكانى الى العربية وطبعه فى سنة (١٨٧٥) فى مدينة بيروت من البلاد السورية فى صفحة (٣٦) ماهذا نصّه (١) (والذين شرحوا الـكتب المقدسة درسوا البساطة والوضوح غير انه لا ينكر بان عادة اليهود المعوّجة فى تغميض لغة الـكتب الواضحة باستعاراتهم المقتصبة الناشفة وبتحريف الـكلمات عن معناها الخاص الاصلى لـكى يستخرجوا منها معنى باطنا ـ فهذه العادة وجد بين المسيحيّين حتى فى هذا القرن مَن يستحسنها ويقلدها فبرنابَاس الذى لا تزال رسالته موجودة شاهد على ذلك وله أمثال انتهى)

فاذا تفكر من يحب البحث عن الدقائق فيما كتبناه فى مبحث المعجزات فى باب البراهين من أن سنة الله تعالى أبت أن تجرى الامور الا على النواميس الطبيعية. وما كتبه موسهيم العالم المحقق فى عوائد اليهود من استعمالهم المجازات الغامضة الاستعارية لا يشك ان ماجاء فى الاخبار من إبصار الاعمى واحياء الموتى انما هو محمول على البصارة القلبية والحياة الروحية كما اطلق على هذه المعانى فى مواضيع كثيرة من نفس الـكتب السماوية والـكلمات النبويّة ❊

(وأما البرهان العقلى) ونعنى به قوّة نفوذ كلمته وغلبة ديانته

---

(١) فصل ٣ قسم ٣ عدد ٢ تاريخ قرون الاولى ـ هكذا فى الاصل

فانها وان فاقت قوة نفوذ كلمة موسى عليهما السلام بحيث لم تُبق شكا عند الباحث المنصف الذى لم يتعنت فى البحث انها كلمة الهية وغلبة روحانية . فان كلمته المقدسة نفذت فى أمم كثيرة وصارت سبب هداية شعوب عظيمة مما لا ينكره إلا كل جاهل مكابر، وسفسطى مجادل . الا انها نفذت بعد اجيال وقرون بمساعدة القياصرة الرومانية وباغتصاب لم يسبق له مثيل فى غيرها من الاديان الالهية . ولذلك شك كثير من كبار المؤرخين فى أصل وجود سيدنا المسيح له المجد ، ولم يزل يوجد كثير ممن يشك فى وجوده حيث لم يجئ فى التواريخ المصنفة فى القرن الاول والثانى من الميلاد من مصنفات الرومانيين واليهود والفرس والهنود والصينيين ذكرٌ من ظهوره وديانته عليه السلام . وهذا دليل واضح على أن أمره عليه السلام لم يأخذ فى القرنين الاولين دورا مهما ونفوذا كبيرا حتى يذكره المؤرخون فى كتبهم التاريخية . قال موسهيم فى تاريخه الذى ذكرناه فى ذكر حوادث القرن الثالث عشر فى صفحة (٤٥٠) ماهذا نصه (١)

(ان كاتبي ذلك العصر اللاتينيين كثيرا مايشتكون من الاعداء الجهاريين للديانة المسيحية ومن المستهزئين بالآلة الاعظم - وهذه التشكيات باطلة لا يوثق بها لان اناسا حاذقين أمعنوا النظر فى الديانة التى بشر بها وعلمها الاحبار الرومانيون وخدامهم وأصحابهم

(١) عدد ٢ و ٣ فصل ٢ قسم أول كتاب قرن (١٣)

وحكموا بأنها هى الديانة الوحيدة الحقيقية التى علم بها المسيح وأقاموها بالنار والسيف فاقتنعوا بسهولة ان المسيحية انما هى تلفيق اخترعه وأشاعه الكهنة لأجل صالحهم . وخاصة لانهم لم يوجد من يعلمهم أحسن من هذا التعليم . علاوةً على ذلك ان الفلسفة الأرسطية التى غلبت فى كل مدارس اوربا واعتبرت صحيحة لايشوبها فساد جعلت كثيرين يهملون التعاليم المسلم بها والمعلم بها من جهة العناية الالهية وخلود النفس وخليقة العالم وغيرها من القضايا ــ وهكذا كانوا يشيعون الكفر انتهى)

وعبارة هذا المؤرخ الذى لم يكن متهما فى ديانته بل كان ثابتا مستقيما فى الديانة المسيحية صريحة فى أن هؤلاء المنكرين لم يجدوا ذكرا للسيد المسيح له المجد فى الكتب التاريخية والالما انكروه بل كانوا ينكرون تعاليم الاحبار الرّومانيين * نعم كثيرا ماحاول أهل التدليس ، والتمويه من الذين لم يعرفوا قوّة الكلمة الالهية وغناها واستغنائها عن الحيل البشريّة أن يدخلوا فى التواريخ القديمة ذكره عليه السلام ليمكنهم أن يقاوموا هؤلاء المنكرين ، ويدافعوا عن الانبياء والمرسلين الاّ انه اضرّ بالديانة المسيحيّة أكثر مما أرادوا أن تنتفع به اذ ظهرت حيلهم ودسائسهم . فزادت شبهات المنكرين ، ووساوسهم كما فعلوا ذلك فى ترجمة كتاب (يوسيفوس اليهودى) من اللّغات الأوربيّة الى اللغة العربية ، وأدخلوا فيه ذكر المسيح له المجد ، وأوعزوا الى بعض أصحاب الجرائد المليّة التى تنشر فى مصر أن يدرج فيها ان كتاب

يوسيفوس لا يوجد عند اليهود اخفاء لهذه الدسيسة وستراً لهذه الحيلة والحال ان هذا الكتاب يوجد بكثرة عند اليهود بخط اليد ، وقد تتبعنا ذلك وبحثنا عنه في مدينة همدان ، والنسخ الاصلية الموجودة في المكاتب العامة في أوروبا ليس فيها اشارة الى المسيح عليه السلام ، وقد صرّح بذلك الدكتور كيث الانكليزي في كتابه الذي صنفه في تصديق انبياء بني اسرائيل لاثبات امر سيدنا المسيح له المجد حيث قال إن يوسيفوس اجتهد كل الجهد أن لا يشير في كتابه الى ذكر اسم المسيح وقد ترجم كتابه هذا من اللغة الانكليزية الى الفارسية بمساعدة الآباء الانجيليّين في مدينة ارومية من مدن آذربايجان ، وطبع في ادنبرغ سنة (١٨٤٦) من الميلاد * وخلاصة القول إن الجاهلين بقوة الكلمة الآلهية أدخلوا بالحيل الدنيئة ذكر المسيح عليه السلام في التواريخ القديمة ظناً منهم انها تنفع الديانة الطاهرة المسيحية إلا انها اضرّت بها ضرراً لا ينكره إلا كل غبي. حيث ظهرت تلك الدسائس والحيل فزهقت ونمت بين النصارى شيع ونفوس كثيرة ممن أنكر الديانة الآلهية بل أنكروا أصل وجود المسيح عليه السلام ، والحال أن مسألة اثبات وجود المسيح حقيقة لا تحتاج الى تلك الحيل ولا الى تصديق المؤرخين فان وجوده عليه السلام ثابت محقق بشهادتين عظيمتين

(الشهادة الاولى) شهادة مظاهر أمر الله تعالى بوجوده وحقيته فان شهادتهم هي شهادة الله ، وهي تؤثر في العالم اكثر من كل مؤثر .

فانظروا فى شهادة سيدنا الرّسول (محمد) عليه الصلاة والسلام بأن المسيح له المجد هو روح الله وكلمته كيف أثرت فى العالم وأقنعت الامم . حيث يشهد نحو من ثلاثمائة مليون من الشرقيين من المسلمين بان عيسى عليه السلام هو روح الله وانه هو كلمة الله ، ويرسمون هذه الشهادة جيلا بعد جيل فى صدورهم ، ويحفظونها نسلا بعد نسل فى قلوبهم بما شهد به محمد رسول الله عليه السلام . وكانوا قبل ظهور النبى عليه السلام لا يعرفون عيسى ولا يعترفون بحقيته ــ وهذه هى الشهادة المثبتة والكلمة النافذة ، وسوف ترون أن أهل العالم بأجمعهم يخضعون لاسم سيدنا عيسى ، ويعترفون بانه هو الكلمة العليا بما شهد به ربنا الابهى جلّ اسمه الأعلى ، والى هذه النكتة تشير الآية (١٨) من الاصحاح الثامن من انجيل يوحنا حيث قال (أنا هو الشاهد لنفسى ويشهد لى الاب الذى أرسلنى) ومعنى شهادة الاب هو شهادة الرّب اذ لا يعقل شهادة الذات بدون مظهرها ومطلعها كما ذكرناه واثبتناه فى مسألة التوحيد . فاذا اثبتت شهادة مظهر من رسل الله وجودَ سيّدنا عيسى عليه السلام ، وأقنعت نصفَ جميع أهل العالم بحقية كلمته وصدق دعوته فماذا يتأتى من شهادة بضع افراد من المؤرخين سواء أقرّوا أو أنكروا ، وماذا يرجى من شهادتهم سواء شهدوا أو لم يشهدوا . *

(الشهادة الثانية) دلالة الاثر على المؤثر ــ وهذه شهادة عقلية بل حسية اذ لا شك أن الديانة المسيحية التى غيرت حالات العالم القديم

حادثة . والحادثات لا بد لها من محدث وجاعـل ومنشىء ولم يدّع أحـد ولا جماعة انه منشىء هذه الديانة ، ولم تنسب يوما ما الا الى المسيح له المجد . فيثبت بلا شـك انه هو شارعها الوحيد ومقيمها الفريد . خصوصا اذا اعتبر مبـدأ تلك القوة القوية التى غلبت قوى العالم ، والعقل والادراك الخارق للمادة الذى أصلح نقائص الامم وبرّأ أمراض القلوب ووفق بين القبائل والشعوب . لا يعقل ان يستتر تحت ستائر الاختفاء والخمول ـ أو تنسج عليـه عنا كب النسيان والذهول ، ولعمر الحق لوجاز للانسان ان يشك فى مثل هذه المسألة العظيمة مما لم يدّع احد انّه هوجا علها ومنشئها سوى المسيح له المجد ليجوز له الشك فى كلّ المسائل فيطرأ الشك فى كلّ الامور * ويختلّ نظام الجمهور * ويصحّ مبدأ الشيعة السّوفسطائية ويعتبر كل الحقائق من الامور الوهميّة * فاذا عرفت هذه المطالب التّى دعتنا الضرورة الى ذكرها وبيانها فلنرجع الى ما كنّا نتكلّم فيه من الادلة التى يمكن لنا الاستدلال بها على حقية ظهور المسيح له المجد *

(وأما البشارات) الواردة فى الـكتب المقدسة المحفوظة فى العهد العتيق فاذا نظرنا الى الوحدة الذاتية التى اثبتناها فى باب التوحيد لمظاهر أمر الله فلا شكّ أن أكثر تلك البشارات تنطبق وتصدق على ظهور سيّدنا المسيح عليه السلام كما تصدق بهذا المعنى على الذين ظهروا من بعده * واذا نظرنا الى خصوصيات تلك المظاهر المقدسة

ممّا يُعيّنهم ويميز بعضهم عن بعض فلا شكّ ان أكثر تلك البشارات لاتنطبق ولاتصدق على ظهوره الاول كما سيبين في تفاسير آيات الكتاب بعون الله ربّ الارباب * ومما يجب ان يلتفت اليه أولوا البصائر هوان مفسّري الكتب المقدسة بأجمعهم حاولوا أن يفسروا جميع البشارات الواردة في التوراة ورسائل انبياء بني اسرائيل على ظهور سيّدنا عيسى عليه السلام . فجاهدوا فيه جهادالابطال . وصرفوا فيه المهج والاموال. واهتموا كلّ الاهتمام ليقنعوا الطالبين أن المرادمن تلك البشارات ليس الاّ بيان حوادث يوم ظهوره وقيامه وذكرمصائبه والآمه حتى ان بعضهم تمسكوا في مبدئهم هذا بالحيل والتمويه ، وبعضهم بالاجبار والاكراه حتى اذا لم يتمكنوا من اقناع النّاس بالبرهان حاولوا ان يقنعوهم بحدّ السّيف والاحراق : كما تشهد به التواريخ في جميع الآفاق * فان كثيرا من علماء اللاهوت ومفسري الكتب المقدسة كانت عادتهم إقناعَ النّاس واثبات عقائدهم الدينية بالجدل ، وبما كانوا يسمونها (المحاولة) سواء وافق الحق والواقع أولم يوافق اذ كان مقصودهم الغلبة على الخصم اعتماداً على المبدأ المعروف منهم (ان الغاية تبرّر الواسطة) وكان الاستبداد المطلق وعدم الحرية يساعدهم على اجراءمقاصدهم .وغلبة عقائدهم.فظهرت تفاسيرالكتب المقدسة مموهة محرّفة مبعدّة تائهة.قال الفاضل المؤرخ يعقوب مردوك

الامريكانى فى كتاب تاريخ الكنيسة (١) صفحة (١٠٦) بعد ماذكر اسماء كبار الكتاب والمفسرين فى القرن الثالث الميلادى ماهذا نصه (ولكن يجب ان لانسهو عن ان نذكر ان المباحث المؤلفة لمضادة اعداء المسيحية فى هذا العصر تجاوزت كثيرا حدود البساطة الاصلية وطريقة الاحتجاج القويمة . لان العلماء المسيحيين الذين تعلموا على نوع ما فى مدارس اليونانيين والسفسطيين نقلوا بدون انتباه فنون هؤلاء المعلمين الى المحاماة عن الديانة المسيحية . فلم يكن همهم سوى غلبة الخصم سواء كانت بالسفسطة أم بالبراهين السديدة وهكذا استصوب نحو الجميع نوع الجدال الذى يسميه القدماء (ايكونوميا) أى محاولة والذى غايته الغلبة لا اظهار الحق * والافلاطونيون نظرا لكثرة الاستعمال أكدوا بانه لايخطئ الانسان فى استعمال الباطل والاقيسة السفسطيه للانتصار للحق حين وقوعه تحت خطر الغلبة « الى ان قال » فهذا الميل الردى الى ان يحتالوا على الخصم ويغلبوه أكثر من أن يحاجوه بالبرهان السديد أوجد أيضا كتبا كثيرة مزوّرة عليها اسم انسان مشهور . لانّ أكثر الجنس البشرى تؤثر فيهم قوّة الاسم أكثر من البرهان وشهادة الكتب المقدسة . فلاحظ الكاتبون أنه يجب زيادة أسماء عظيمة ذات شهرة على كتبهم لكى يناضلوا بأكثر نجاح أخصامهم . فمن هذا نتجت تلك القوانين المزوّرة بنسبتها الى الرسل انتهى)

---

(١) كتاب اول — قرن ٣ - قسم ٢ فصل ٣ عدد ١٠ و ١١

وقال أيضا فى صفحة (١٣٤) فى ذكر أسباب نفوذ الديانة المسيحية فى القرن الرابع ماهذا نصه (ان الامر واضح ان رغبة الاساقفة غير الكالة وغير أناس أفاضل وطهارة العيشة النقية التى أظهرها مسيحيون كثيرون وترجمات الكتب المقدسة، وسمو الديانة المسيحية كانت عند الكثيرين أسبابا فعالة كما كانت أسباب طلب الربح المالى ، واجتناب الخسائر المالية عند الآخرين . وأما نظرا الى العجائب فانى أتفق مسرورا مع الذين يزدرون بالعجائب المنسوبة الى بولس وانطونيوس ومرتينس، وأسلم أيضا بان حوادث كثيرة اعتبرت سهوا كعجائب (أى معجزات) وهى بالحقيقة حسب قوانين الطبيعة لانها عملت باسم الديانة ولاجل غايات حميدة صنعت أيضا غير أنها كانت كاذبة ومبنية على ذلك المبدأ الشيطانى (إنّ الغاية تبرّر الواسطة) انتهى .

وأمثال هذه العبارات كثيرة فى هذا الكتاب وغيره من الكتب التاريخية المعتبرة، وجميعها تدل دلالة واضحة على أن كتاب القرون الاولى الذين تعد كتاباتهم أنور وأطهر وأنقى من القرون الاخيرة وصارت كتبهم أساسا وأصلا لما اعتقده وكتبه كتاب القرون المتأخرة كانوا يعتمدون على الغلبة واقناع الخصم أكثر مما يجب عليهم أن يعتمدوا على الحق وبيان الواقع ، وكان يهمهم اقناع اليهود والزامهم قبول تفاسيرهم أكثر من الوثنيين فانهم كانوا أصل الدوحة المسيحية

ومنازل وحي الكتب المقدسة السماوية. فاجتهدوا كل الجهد وتمسكوا بجميع الحيل والوسائل لعلهم يقنعون هذه الأمة التعيسة بأن المقصود من بشارات الكتب المقدسة في ظهور الرب هو ظهور عيسى عليه السلام ، وانها جميعا مخبرة عن حوادث أيامه ، ومنبئة عن مصائبه وآلامه . الآن جميع هذا الاهتمام في التفسير والتلفيق والسعي في اثبات الموافقة والتطبيق أبعد اليهود عن الايمان بالسيد المسيح أكثر مما أرادوا أن يقربهم اليه . فان اليهود الذين كانوا يقرءون الكتاب كل يوم بكل دقة وأرجعوا كل أمورهم اليه ، وعلقوا كل آمالهم عليه عرفوا معنى البشارات ، وعلموا مغزى تلك (المحاولات) فرأوا رأى العين ان بشارات الكتب المقدسة وخصوصا المنبئة عن عواقب هذه الامة لاتوافق ولا تنطبق على ظهور سيدنا عيسى له المجد مهما بالغ المفسرون من النصارى في تطبيقها ، وحاولوا بالمحاولة المعهودة توفيقها . فان بشارات تلك الكتب المقدسة التي أهرق اليهود دون حفظها دماءهم وبذلوا لصونها أموالهم بل ذريتهم وابناءهم ، وعلقوا بها وحدها أملهم ورجاءهم تنادي بأفصح نداء بان بني اسرائيل بعد ماتزول سلطنتهم من الاراضي المقدسة ويتشتتون في جميع البلدان ويتفرقون في جميع الممالك ويضربون بكل المصائب ويصيرون ملعونين مرذولين بين جميع الشعوب ، وبعد ماتطأ الاراضي المقدسة الأمم الاجنبية . وتدوسها القبائل الوحشية . وتنهدم مدنها وديارها وتنحط

زينتها وعمارُها يظهر الرّب القدير . ويطلع من المشرق جماله المشرق المنير ، وينزل فى الارض المقدسة ويرتفع نداؤه من الجبل المقدّس . فيجمع شتيت بنى اسرائيل من المشرق والمغرب والشمال والجنوب * ويجليهم من بين جميع الشعوب . فيخرجون من الظلمة الى النور * ويتبدّل حزنهم بالسرور ، وكفرهم بالايمان * وعنادهم بالاذعان * وذلتهم بالعزة . وضعفهم بالقوّة . فيصيرون مبروكين - بعد ما كانوا ملعونين وغالبين بعد ما كانوا مغلوبين * ويرجع عز الاراضى المقدسة وتتبرك بترابها الملل المتباعدة ، ويغير اسمها فم الرّب الموعود * ويبنى هيكلها الغصن المبارك المحمود * فتسمى أرضا مقصودة بعد ما كانت مطرودة ، وتصير مطلوبة بعد أن كانت مهجورة . فترجع عزة الارض المقدسة رجوعا لا يزول ، ويغرس الشعب فيها غرسا لا يتضعضع ولا يحول وتقع تلك الحوادث المنصوصة التى ذكرناها فى أجل مسمّى ومدّة معلومة فى الكتاب كما يعرفه أولوا الألباب * ولا تغيره أوهام المنتحلين ، ولا تبطله محاولة المحرفين . ولا تزعزع أساسه المتين تشكيكات المشككين ، وتمويهات المبطلين . وكل تلك القضايا الثابتة انعكست فى ظهور سيدنا عيسى عليه السلام . فان بنى اسرائيل كانوا مجتمعين ومعززين فى الاراضى المقدسة فتشتتوا بعد ظهور المسيح له المجد بغلبة (طيطوس الرومانى) على سوريا حينما هدم طيطوس مدينة اورشليم ، وقتل من اليهود على ما نقله المؤرخون أكثر من الف

الف نسمة وباع البقية فى البلاد بيع الانعام . وزادهم ذلة وشقاء وتشتتا وبلاء فتح عمر خليفة الاسلام مدينة «ايليا» أى القدس الشريف . وعاهد اسقف اورشليم (زاوينوس) ـ على ان لا يسكن يهودى فلسطين . فابطلت بهذا الحكم والعهد محرقتهم الدائمة . ووقعت الاراضى المقدسة تحت يد الاجانب فصارت ميدان القتال . ومعترك الحرب والنزال بين العرب والروم والترك والصليبيين والمماليك . فانهدمت بلدانها وزال عمرانها ، وأقفرت ربوعها ، وتفرقت جموعها . وكانت طول هذه الاجيال مهبّ عواصف الفتن ، وملتقى زوابع المحن الى هذا القرن الاخير قرن طلوع نور الانوار . وميعاد كشف الاستار . وبزوغ شمس العلم فى رائعة النهار . حيث ركدت نوعاما تلك الحوادث المهلكة . والزوابع المدمرة . فأخذت الارض المقدسة حالة السكون والقرار . وتقدمت فى العمار . الى ان يتم فيها ما أخبر به حفظة الوحى فى سابق القرون والاعصار . فكانت الارضُ المقدسة عامرةً فهدمت بعد ظهور المسيح له المجد ، وكانت امة اليهود ساكنةً فيها فتشتت بعد ظهوره عليه السلام . فلم يتم شيء من البشارات التى اشرنا اليها فى ظهوره وقيامه حتى يكون مصداقا لتلك البشارات ، ومقصودا من تلك الآيات *

لم وجد المفسرون طريقا لرتق هذا الفتق وسدّ هذه الثلمة التى لا تسدّها محاولة ولا دهاء ، ففسروا لفظ (بني اسرائيل) كلما جاء

في الكتب المقدسة بالكنيسة المسيحية ليثبتوا ان النبوات تمت بظهور المسيح له المجد، وان جميع البشارات تحققت بقيامه عليه السلام، ونحن وان وافقناهم في بعض المواضيع نظرا لوحدة روح الايمان المتجلي فيهم والجامع لهم مما يتعلق بتحقق معاني البعث والحشر والحياة والنشور إلا ان أكثر بشارات الكتب المقدسة فيها قرائن صريحة بان المراد منها هم ذرّية اسرائيل انفسهم لا المؤمنون الملحقون بهم بالروح الايماني . وان بني اسرائيل الذين ضربهم الله باللعنة والشقاء يرجعون الى البركة والشفاء كما صرّح به بواس الرّسول أيضاً في الاصحاح (١١) من رسالته التي كتبها الى أهل روميه . حيث قال في العدد (٢٥) منه (فاني لست أريد ايها الاخوة ان تجهلوا هذا السرّ لئلا تكونوا عند انفسكم حكماء ان القساوة قد حصلت جزئيا لاسرائيل الى أن يدخل ملؤ الامم وهكذا سيخلص جميع اسرائيل كما هومكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويردّ الفجور عن يعقوب . وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم . انتهى)

فهذه العبارات مصرّحة بان بني اسرائيل ينقذون من الهلاك وتنزع خطاياهم بعد ظهور عيسى عليه السلام في آخر الايام بظهور الرّب في صهيون . فماذا يجدي المفسرين محاولة تفسير بني اسرائيل بالكنيسة المسيحية ، ومن هذا القبيل تفسيرهم لفظ (العهد الجديد) بالانجيل المقدس . فان كلمة العهد الجديد انما جاءت في الآية (٣١) من

الاصحاح (٣١) من سفر ارميا النبي عليه السلام حيث قال (أيام ها تأتى يقول الربّ وأقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا . ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم . يقول الرب بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب اجعل شريعتى فى داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم الها وهم يكونون لى شعبا ولا يعلّمون بعدُ كلّ واحد صاحبه وكلّ واحد أخاه قائلين إعرفوا الرب لانهم كلّهم سيعرفوننى من صغيرهم الى كبيرهم يقول الرب لانى اصفح عن اثمهم ولا اذكر خطيئتهم بعد . انتهى) فهل وقعت وتمّت بشارات هذه الآيات . وهل آمن جميع بنى اسرائيل بالرب . وهل لايحتاجون الى تعليم معلم ونصيحة ناصح للايمان بالربّ وهل صفح الرب عن آثامهم وخطيئاتهم حتى يصحّ ان الانجيل المقدس هو العهد الجديد الذى اشير اليه فى الكتاب . ومن يقرأ تمام هذا الاصحاح ويمعن النظر فيه يعرف حق المعرفة ان المقصود من بشارات هذا الاصحاح هم بنو اسرائيل انفسهم لا الذين يلحقون بهم بالايمان حيث عبر عنهم باسرائيل أى بنى افرائيم الذين كانت عاصمة ملكهم مدينة (شومرون) ويهوذا الذين كانت عاصمتهم مدينة (أورشليم) وعبر عنهم أيضا بالبنت المرتدة . وقال فى الآيه (٢٧) منه (ها أيام تأتى يقول الرب وأزرع بيت اسرائيل وبيت يهوذا بزرع انسان

وزرع حيوان . ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والاهلاك والأذى كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب). انتهى

فهل ينطبق منطوق هذه البشارات على الكنيسة المسيحية * ثم اخبر فى هذا الاصحاح ببناء الارض المقدسة وتقديسها بناء ابديا لا يتضعضع، وتقديساً دائمياً لا يزول حتى صرح فى آخر الاصحاح بهذه العبارة (لا تقلع ولا تهدم الى الابد) وقد هدمت الارض المقدسة بعد صعود سيدنا عيسى له المجد مرتين بامر طيطوس وادريانوس . وتفرق شعب اسرائيل وزاد خراب الاراضى المقدسة ، وتفرق الشعب فى غلبة الاسلام وابطلت محرقتهم الدائمة كما ذكرناه سابقا *

فلما كانت هذه الامور من المسائل الواضحة عند اليهود لم تؤثر عليهم تفاسير النّصارى ولا محاولاتهم بل زادتهم تلك التفاسير والمحاولات بعداً عن الحق حيث انكروا حقية السيد المسيح ، وأعرضوا عن النظر والتثبت فى امره عليه السلام . فأراد نوّابُ الاحبار العظام أن يجبروا بنى اسرائيل على قبول تلك التفاسير ، ويقنعوهم بحد السيف والقصاصات الصّارمة اذا لم يمكنهم ان يقنعوهم بقوة البرهان. فاجبروا اليهود بالانضمام الى الكنيسة المقدسة فى مُدَد مديدة وقرون عديدة *

قال الفاضل المؤرخ (موسهيم) فى حوادث القرن السادس من كتاب تاريخ الكنيسة ماهذا نصه (١) (إن الاكثرين ألجئوا الى

(١) كتاب ٢ قرن ٦ ـ قسم ـ١ـ فصل ـ١ـ فى ضمن عدد ٣

الاقرار بالمسيحية طمعا بمواهب الامراء وخوفا من القصاص أكثر من الاقتناع بقوة البرهان * ان اليهود غصبوا فى فرنسا على أن يتعمدوا — وهكذا وقع فى أسبانيا . انتهى)

وخلاصة القول انه لما رأى اليهود تلك التفاسير المختلة من جهة و تلك المحاولات الباطلة من جهة أخرى، وتلك القصاصات الصارمة ثالثة من جهات شتى لم يرتابوا فى ان تلك المصائب كلها من السيد المسيح عليه السلام ، فتاهوا فى بعدهم وعموا فى ضلالتهم ، وتمسكوا اشد التمسك بمبادى غواياتهم حتى تمت فيهم انذارات المنذرين ، وحقت عليهم كلمة النبيين، وهم وان استحقوا كلمة العذاب بما كفروا بالسيد المسيح له المجد وتكلموا فى طهارة السيدة مريم العذراء بما زادهم مقتا وشقاء عند الله الا أن أكثر ذنب بقائهم على كفرهم راجع الى المفسرين والمحاولين والمنتقمين الذين سبق القول عنهم انهم أبعدوا اليهودَ عن الحق وأظلموا السبيل عليهم. ولو مشى المفسرون على المنهج القويم، وفسروا الآيات على حقائقها المقصودة ، وأثبتوا حقية كلمة سيدنا عيسى لهم من طريقها لسهلوا لهم سبيل الدخول فى الايمان، وقربوهم الى محجة الاذعان فان فى نفس التوراة المقدس وكتب الانبياء عليهم السلام لشواهد وآيات صريحة على حقية سيدنا عيسى عليه السلام مما يغنيهم عن المحاولة والانتقام كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما يأتى من التفاسير فى هذا المقام *

ثم انظروا أيها الاحباء فى أمر الاسلام والادلة التى يريد المسلمون

ان يستدلوا بها على حقية سيدنا الرّسول عليه السلام *

(أمّا الكتاب) السماوى والوحى الآلهى باعتقادهم فيه فهو القرآن الشريف ، والمصحف المجيد ، وهو قد كتبت آياته وحفظت سوره فى زمان الرسول عليه السلام ،ودونت ورتبت فى زمان خلفائه فى مجمع من أكابر اصحابه وأوليائه ، واتفقت الملل الاسلامية على اختلافهم وتفرّقهم شيعاً ومذاهب على مصحف واحد من دون اختلاف كلمة وتغاير حرف ـ الا انه لايزيد عن مجلد واحد أى ثلاثين جزءا نزلت على النبي عليه السلام نجوماً متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة * وسيدنا النبي كما هو معلوم عند الجميع كان من قريش أى من أشهر قبائل العرب فصاحةً وبلاغةً حتى عدّ أكثرُ علماء الاسلام فصاحةَ بيانه فى القرآن حجةً بالغةً ، وبلاغة كلامه معجزةً دامغة ـ ولكننا فندّنا هذا الرأى فى كتب عديدة ،وأظهرنا سبب اعجاز الوحى السماوى ووجوه تميزه عن كلام البشر بما لم يبق شك فيه لارباب البصائر والنظر *

(وأما نفوذ كلمته وغلبة ديانته) فلم تظهر ظهورا تامًّا فيما عدا العرب من الفرس والخزر ، والترك والهنود الافى القرن الثانى من الهجرة . نعم بلغت فتوحات امراء الاسلام فى القرن الاول شرقا الى فرغانة . وغربا الى سيسيليا واسبانيا ، ولم يعهد من أمراء الاسلام الاقليلا منهم انهم أجبروا أمةً على قبول ديانتهم حيث خير وهم بين

أداء الجزية وقبول الديانة بل ان نفس الغلبة كانت كافية لأن يعتنق الناس دينا أرقى من ديانتهم القديمة التى كانت كلها طقوسا وآدابا خرافية ــ كعبادة النار أو الاوثان . خصوصا اذا اضفنا اليها تشويقات زهاد المسلمين الذين كانوا كثيرين اذ ذاك، وبساطة معيشتهم الظاهرة ومع ذلك لم يشرع الناس فى قبول ديانة الاسلام فى بلاد الخزر وبين النهرين قبولا حقيقيا إلا فى القرن الثانى والثالث من الهجرة كما ذكرناه

(وأما معجزاته وعجائبه) مما اقترح عليه اعداؤه منها، ويحاول علماء الاسلام ان يثبتوها له عليه السلام. فينفيه صريح آيات القرآن. فان فى القرآن آيات صريحة فى ان الله تعالى لم يشأ فى ظهور الاسلام أن يظهر آية ما الا الكتاب لانها منذرة بالهلاك والدمار . كما قال جل وعلا فى سورة بنى اسرائيل (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا) يعنى ان الله تعالى امتنع وأبى أن يظهر المعجزة فى ظهور محمد عليه السلام لان الامم الاولى مثل الفراعنة وعاد وثمود طلبوا المعجزات من الانبياء . ثم كذبوا بها وانكروها . فاهلكهم الله تعالى بسبب انكارهم وتكذيبهم فانه تعالى لا يرسل آية ومعجزة الا انذارا بالهلاك وتخويفا من الدمار، وامثال هذه الآية كثيرة فى الكتاب . قد استوفينا الكلام فيها فى الفرائد، وفى الدرر البهية، وفى فصل الخطاب ــ وأما ما ظهر منه عليه السلام من المعجزات من غير اقتراح

فليس لها مصادر الا روايات وأحاديث قلمّا يمكن الاعتماد عليها الا من باب حسن الظن ـ واذا أضفنا الى ذلك ضعف دلالة المعجزات على حقية الداعى كما بيناه فى بابه . فلم يبق هناك ما يليق الاعتماد عليه والاستدلال به . ولكنه يوجد فى القرآن الشريف والاحاديث الصحيحة المروية عنه عليه السلام أخبار عن الامور الآتية مما لا يستهان به ولا ينكره الا المجادل المتعنت . فقد أخبر عليه السلام بجميع حالات أمته ومادارت عليه من الاطوار من الصعود والنزول والنشاط والخمول والقوة والضعف ، والتفرق ، والتحزّب وأمثالها من الاحوال بكلياتها وجزئياتها الى انقضاء أمدها وانتهاء دورتها ـ وكذلك أخبر عن الامور الحادثة فى انقضاء الدهور من ظهور المهدى ونزول روح الله وقيام الانبياء الكذبة ، وظهور الدعاة الكاذبين ، والقيامة الصغرى والقيامة الكبرى وأشراطها وعلاماتها . كلّ هذه الامور أيضا بجزئياتها وكلياتها ومواقعها وميقاتها مما لا يمكن أن يدركه الانسان بالمدارك البشرية ، ويخبر عنه بالانظار السياسية . بل لم يشاهد مثله فى آثار من سبقه من المظاهر القدسية . الاّ انه لما دونت تلك الاحاديث فى القرن الثّانى والثالث الهجرى وكانت عادة روّاة الاحاديث فى مدّة قرنين أو أكثر انهم يحفظونها فى صدورهم ويخبرون عنها بألسنتهم . ولا بدّ من أن يقع فيها من الغلط ، ويظهر بينها الاختلاف بسبب السهو والنسيان الذى هو من لوازم الانسان ، وكان فوق هذا تعمّد

رواية الاحاديث النبوية اذ ذاك شأنا مقدّسا محترما بين الأمة الاسلامية. فاتخذها طلّاب الرآسة وسيلةً للبلوغ الى المقاصد الدنيوية وكان فوق هذا وذاك ان الخلفاء الجائرين الذين كانوا فى خوف دائم من السلالة الطاهرة العلويّة ، والعترة المقدسة النبوية يشترون ذمم بعض السابقين من الصحابة والتابعين ليختلقوا لهم أحاديث فى فضائل أعداء أئمة أهل البيت لعلهم يصرفون أنظار الامة بهذه الحيلة عن العترة الطاهرة، ويحفظون مراكزهم فى المملكة المغصوبة والخلافة الجائرة .فراجت تجارة الاحاديث وربحت اسواق اختلاق الاخبار فاختلط الصحيح بالفاسد ،والحق بالباطل،ودوّنت كتب من هذا القبيل من الاحاديث وتقبلها العلماء خوفا وطمعا ورهبة ورغبة مما صار اخيرا سبب ضلالة الأمة وخمول الملة وسقوطهم فى هاوية الهوان والذلة على ان كل ذلك لم يمنع ارباب البصائر المنيرة عن معرفة الاخبار الصحيحة وتمييزها عن الاحاديث الضعيفة . فان لكلمات الانبياء والمرسلين ومخازن حكمهم ومطالع علومهم سمات ومزايا لم تخف على أهلها، وان تشتبه على أربابها. وليس مرادنا من الاحاديث الصحيحة ما اصطلح عليه علماء الاسلام من الشيعيّة والسنية فان أهل السنة والجماعة يعتبرون ان الحديث الصحيح مايوافق مذهبهم ، والراوى على مذهبهم ، ويضعفون كلّ حديث دونه مهما كان راوى الحديث ثقة وأمينا ــ وهكذا علماء الشيعة لا يعتبرون اخبار من لم يكن على

طريقتهم ومذهبهم ـ وهذا لا يغني طالب الحقيقة شيئاً ولا يميز الباطل من الحق، ولا يرفع الاختلاف من البين اذ لا تتنازل طائفة لرأيِ أخرى بل المراد به ما يوافق الحق. فالحديث الصحيح ما يوافق كتاب الله فان (فيه تبيان كلّ شيء) أو يوافق الواقع فان تلك البشارات جميعها وقعت وصحت فماذا ينتظر العاقل بعد *

وخلاصة القول إن الاخبار عن الحوادث الآتية كان دليلا يمكن ان يستدلّ به المسلمون على حقيه شارع ديانتهم. لكنهم أفسدوه بأنفسهم وخلّطوا حقه بباطلهم تزلفا الى الخلافة الجائرة من آل أبي سفيان المعبر عنها بالوحش الصاعد من الهاوية في الانجيل. وبالشجرة الملعونة في القرآن *

وأمّا بشارات ظهور سيدنا النبي عليه السلام في التوراة المقدس وكتب أنبياء بني اسرائيل فهي نقط تنضبُ من خلال الاستعارات المعقدة كالجلاميد الصّلبة. الاّ انها صافية رائقة كالزلال الجاري من خلال صخور الجبال ممّا سنشرحه ان شاء الله تعالى فيما سيأتي من المقال *

وأما بشارة ظهوره في الانجيل المقدّس فهي أظهر وأجلى خصوصا في الاصحاحين الحادي عشر والثاني عشر من سفر الرؤيا ولكنها جميعها مقدمات وأشراط للتبشير بمجيء يوم الله وورود الساعة الكبرى، وظهور جمال الله الأبهى *

فاذا عرفتم أيّها الابرار كيفية نشر الديانات السابقة ومقدار ما عند أصحابها من الادلة الاربعة. فاعلموا أفاض الله عليكم نوراً من ملكوته

الأبهى . أن تلك الأدلة المذكورة تدلّ على هذا الظهور الاقدس الاعلى دلالة أظهر وأجلى وأتم وأقوى مما كانت تدلُّ على الديانات الاخرى . بحيث لو أنكرها احد أصحاب تلك الديانات ليستحيل عليه اثبات حقية دينه كما أشرنا اليه فى المقالات الاولى . فلنتكلم فى نسبة كلّ دليل من الادلة المذكورة الى هذا الظهور الاعظم كما تكلمنا فى نسبتها الى سائر الاديان ليظهر الفرق جلياً لاهل الايمان

﴿ أما الكتاب الإلهى ﴾ أى الوحى السماوى فمع ما كانت تصادف ربّنا الابهى طول أيام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة والرّزايا والدّواهى العظيمة مما ليس هنا محلّ ذكره ـ ومع أنه لم يكن من اهل العلم ولم يدخل المدارس العلمية فقد ملأ الآفاق من ألواحه المقدسة الفارسية والعربية مما لانبالغ اذا قلنا إنها تزيد على ماعند ملل الارض جميعها من كتبهم السماوية وصحفهم الالهيّة . كل ذلك فى حلّ غوامض كتب الانبياء ، وتفسير كلمات الاصفياء ، وجواب مسائل عويصة سأل عن حلها أكابر الفلاسفة والعلماء ممّا كانت مختومة بختم الانبياء من سابق العصور * وعجزت عن ادراك حقائقها عقول عقلاء الناس فى جميع الدهور ـ أو فى شرائع وأحكام وقوانين وآداب تهذبت بها أخلاق أخشن الملل ، وبها يمكن أن تحفظ حقوق كل الامم ، ويتفق بها جميع أهل العالم ـ أو فى خطب شاملة لدقائق معانى التّوحيد والتّفريد . وغوامض نعوت الحمد والتمجيد للثّناء

على الربّ المجيد . وكيفيّة ظهور الانبياء وبيان مواقف الاصفياء أوفى صلوات وتسبيحات وأذكار ودعوات للمناجاة مع الله والقيام بين يدى الله، والتبتل اليه والتضرّع لديه ممّا يرقق العواطف ويلطف الخلائق . ويورث خشية الله التى هى الاساس الحصين للحكمة الناتجة من روح اليقين . والايمان المتين * واليها يشير قوله تعالى (واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين)

وخلاصة القول إنه قد جرت فى مدة أيامه المباركة من قلمه الاعلى وبيانه الاحلى أربعة أنهار من تلك المعارف العالية الالهية . والحكم السامية السماوية . ما أحييت به القلوب ، وابتهجت به النفوس ، وقامت به الاموات ، وانشرحت منه الصدور — وهذه هى الانهار الاربعة الجارية من عرش الله فى الجنة العليا ، والينابيع الفائضة بماء الحياة فى الملأ الاعلى كما بشّرت به حفظة الوحى . وأخبر الله عنه بلسان موسى (يهطل كالمطر تعليمى ويقطر كالندى كلامى وكالطلّ على الكلأ وكالوابل على الاعشاب)

وأما الفرع الكريم المنشعب من الاصل القديم . والنور الساطع من سماء ارادة ربنا الرحمن الرحيم . فكاد ان يعجز قلم الكاتب البليغ عن وصف ألواحه المقدسة وبياناته . وتشخيص ماهية اخلاقه المعجزة وحالاته . وهاهى ألواحه الكريمة التى تربو عن الآلاف منثورة فى الاقطار . انتثار أوراق الزهور فى الربيع من الاشجار . ونفحات

قلمه السيّال فائحة فى الامصار . فوحان نسيم الصبح فى الاسحار *
وانى فى سنة (١٨٩٤) من الميلاد لما سافرت الى الارض المقدسة
وساعدتنى العناية الالهية بالتشرف بالحضرة القدسية قد دهشت
وتحيرت فيما شاهدت من عظائم اطواره وآثاره ، ورأيت بعينى
فى مدة عشرة أشهر أيام اقامتى فى جواره مرارا ، ما بمحضره
الاقدس من كبار القضاة والعلماء ، وأكابر رجال العسكرية والملكية ،
من الامم والشعوب المختلفة فى الاديان والالسان . وكانت تأتى
اليه الرسائل من اطراف الممالك رزما مع مايحيط به من الصعوبات
التى تنوء بها الجبال يكتب جواب كلّ واحد من تلك الرسائل
بنفسه الكريمة . (والكل يكلمونه فى حاجاتهم ، ويجيبهم فى
مطالبهم) دون تأمل أو تفكر أو سكون قلم أورجوع الى مسودة
أو مساعدة كاتب حتى ملئت من ألواحه المقدسة جميع الآفاق *
وبلّغ نداء ربه الابهى الى السبع الطباق * فانجذبت القلوب الى
الواحه المنشورة . وطارت الارواح الى صحفه المكرّمة المنشورة .
التى يفوح شذا طيب بيانه من كلماتها . وتنفجر ينابيع العلم والحكمة
من آياتها . ولعمرى لم يجد شعر ابى الطيب المتنبى مصداقاً حقيقيا
الا فى هذا الظهور الاعظم . والقرن الانخم . حيث قال *

بابى وأمى ناطق فى قوله * ثمن تباع له القلوب وتشترى

قطفَ الرجالُ القول وقت نباته * وقطفت أنت القول لما نورا
واذا سكتت فان ابلغ خاطب * قلم لك اتخذ الاصابع منبرا

وأما النقطة الاولى . والمثال الاعلى . المبشر بجمال ربنا الابهى جل ذكره وعز اسمه . فقام بالامر وهو ابن خمس وعشرين سنة من أطهر بيت ، وأقدس أسرة ، وكان قبل قيامه مشتغلا بالتجارة مع خاله الذى كان مثالا للتقوى والتقديس . فلما قام حضرته باذن ربه الابهى . وصدع بالامر فى مكة المكرمة فى تلك الجمعية الكبرى ونادى نداء ارتجفت له أقطار الدنيا . وتزلزلت به اركان هذه الغبراء رجع الى مدينة بوشهر على خليج فارس بوجه بهىّ مشرق لامع كالقمر فى وسط السماء . فلما وصل الى هذه المدينة ونزل على خاله الجليل . سافر بعد أيام معدودة الى شيراز فوقع بيد أعدائه اذ صادفته خيالة الحكومة فى اثناء الطريق . فانقضت أيام دعوته التى تعد سبع سنوات تقريبا كلها فى الحجز والحبس والنفى إما فى بيته أو بيت الحكومة الى أن نفى الى آذربايجان ، وصعد الى سماء جوار الله بالشهادة فى مدينة تبريز عاصمة تلك البلدان . وقد نزل من قلمه المبارك فى تلك المدة المذكورة مع مصادمة تلك الاهوال المأثورة مجلدات من الآيات والخطب والمناجاة والشئون العلمية بالفارسية والعربية مما ادهش العلماء . وأفحم به مناظريه من الفقهاء والحكماء . اذ كان يكتب الواحه المقدسة ارتجالا ، ويتحداهم بها ويطلب منهم ان

يأتوا بآية من مثله علنا . وقد كتب كثيرا منها فى محضر الملك والامراء، وأكابر أهل العلم والانشاء حينما كانت روحه المقدسة وحياته الطيبة تحت رحمة ألدّ الاعداء ، ومعلقة بكلمة أشقى الخلق وأقساهم قلبا من جهلة الفقهاء . ولعمرى لم يجدوا مغمزا فى آياته وشبهة فى كلماته الا انهم قالوا إن فيها مايخالف قواعد النحو والصرف ، ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة : وهو جلّ ذكره أفحمهم بما جاء مثله فى القرآن الكريم والسفر القديم . وقد أكلنا البحث فى هذا المقام فى كتاب الفرائد مبسوطا مفصلا بما لم يبق لنا احتياجا الى تجديده واعادته ولو انهم عقلوا لكان هذا حجة عليهم لانهم اذ أثبت ان كلمته العلية انما نفذت وغلبت بصرف القدرة الآلهية . والمشية السماوية . لا بالوسائل الارضية . والوسائط البشرية . من قبيل المعارف التحصيلية . أو الفصاحة اللفظية . ولعمرى لا يعجز المشكك شىء ولا يقطع لسانه أمر الا نفوذ كلمة الله رغم منع المانعين . وتشكيكات المشككين . فان الله تعالى أرسل رسوله بآيات الفرقان الجامع لمحاسن البيان فقالوا (إن محمداً خدع الناس بسحر بيانه، وتزويق الفاظ قرآنه ـ ثم ارسل النقطة الاولى بآيات البيان وبساطة التبيان . فقالوا إن الباب كلماته دارجة غير جاحظيّة . وآياته خارجة عن القواعد النحويّة) فماذا يفعل الله تعالى مع هذه الآراء المتناقضة . والانتقادات المتضادّة الاّ ان يفعل مايشاء ويحكم مايريد . ويترك هؤلاء المشككين يتخبطون

فى تشكيكاتهم، ويلعبون بشبهاتهم. ولقد أدهشنى أكثر من الكل ماقاله مركز النقض من الفئة الناقضة والفرقة الناكصة فى الواح سيدنا المولى عبد البهاء وبهاء من فى ملكوت الاسماء على ماهى عليه من لطف بيان ورقة معان . خضعت لها رقاب الفصحاء ، وزلت لها اعناق البلغاء قالوا (إنها لم توجد فيها اغلاط نحوية اذا فلا تشبه الكلمات الآلهية)

فلنترك المكذبين ليتيهوا فى غمرات الاوهام، ولنرجع الى ما كنا فيه من سياق الكلام . فقد تم فيهم ماقال سيدنا عيسى عليه السلام حيث قال فى آية (١٦) من الاصحاح (١١) من انجيل متى (بمن أشبه هذا الجيل يشبه أولادا جالسين فى الاسواق ينادون الى اصحابهم قائلين زمرنا لكم فلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تلطموا لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان (أى مجنون)جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا انسان أكول وشريب خمر محبّ للعشارين والخطاة ، والحكمة تبررّت من بنيها)

(وأما البرهان العقلى) أى نفوذ كلامه وانتشار أمره من دون واسطة من الوسائط البشرية بل بصرف الارادة الآلهية . والبراهين السماوية . فأمر ظاهر لايحتاج الى بسط مقال . وتقديم استدلال . فان كلمته المقدسة على ماكانت تمنع نفوذها وانتشارها القوات الاستبدادية بجميع وجوهها وأطوارها نفذت فى أقلّ من ربع قرن من ظهوره وقيامه فى جميع الاديان والملل ، وأكثر المذاهب

والنحل . فآمن بتعليماته كثير من النفوس من المسلمين والنصارى والزردشتية والغلاة واليهود. فتجددت أخلاقهم. وطابت أذواقهم . واتسعت معارفهم . وراقت مشاربهم . وسرت روح الايمان في أركانهم وأخذت نفحات اليقين بمجامع قلوبهم . حتى فضلوا ترك الحياة في مواقع الافتتان على ترك الايمان . وبذلوا أرواحهم المستبشرة في سبيل محبوبهم بغاية الامتنان . وكانت في مواقع الردى وجوههم متهللة للفداء ، وفي مخالب الاعداء ألسنتهم مغردة بمثاني الحمد والثناء . وقلّ من رأيت من أهل البهاء من الثابتين على عهد من طاف حوله الاسماء — من لم تكن نفسه تائقة الى الشهادة في سبيل الله ، وروحه مستبشرة للفداء لنشر كلمة الله — وهذا هو غاية اليقين وكمال الدين ، والشهادة الحقة المثبتة لكلمة مظهر أمر الله رب العالمين *

وأعجب من الكل حالة الامة العبرية ، والامة الزردشتية . فانهم كما يعرفه أهل الادراك كانت عداوة سيدنا المسيح وسيدنا الرسول عليهما السلام راسخةً في أعماق قلوبهم ، وكراهية هذين النورين الباهرين منذ القدم أخذت بمجامع وجودهم حتى لم يتمكن رؤساء هذين الدينين أن يجلبوا أفراداً من الامة اليهودية والزردشتية الى ديانتهم الا بطريقة الاجبار والاغتصاب . كما هو واضح لدى أولي الالباب . ولكن أهل البهاء هدوا آلافا منهم ببراهينهم الباهرة ، وأنفاسهم الطاهرة هداية تنورت بها أرواحهم . وانفتحت بها أبصارهم . بل تجددت منها

خلقتهم وتبدلت طينتهم . فتبدل بغضهم بالمحبة . وجفاؤهم بالالفة . وكفرهم بالايمان . ومعاندتهم وجموحهم بالانقياد والاذعان . حتى قاموا لهداية سائر الشعوب والاديان . فتم فيهم قوله تعالى فى الفرقان (ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)

وتحقق بهم كلام زكريا النبىّ عليه السّلام فى الآية (٢٣) من الاصحاح الثامن من كتابه حيث قال (هكذا قال ربّ الجنود فى تلك الايام يمسك عشرة رجال من جميع الامم بذيل رجل يهودى قائلين نذهب معكم لانّنا سمعنا أنَّ الله معكم) وتصدُقُ عليهم كلمة المسيح له المجد فى الآية الرابعة فى الاصحاح السّابع من سفر الرؤيا حيث قال (وسمعت عدد المختومين مئة واربعة واربعين ألفاً مختومين من كل سبط من بنى اسرائيل)

(وأما المعجزات والعجائب) فحيث ان زمان ظهوره عزّ اسمه وجل ذكره قريب ويمكن لكل طالب ان يبحث فى مصادرها وحالات رواتها وّيتحقق الصادق منهم ويعرف من يمكن الاعتماد على أقواله فهى أقرب إلى القبول من معجزات سائر الانبياء حيث لم يبق محل للبحث عن حالات رواة معجزاتهم فاعتمد كلّ أمة على أقوال جماعة على سبيل حسن الظن ، وقلّ من أدرك أيام ربنا الاقدس الابهى جل ذكره وعزّ اسمه مدة من الذين يوثق باقوالهم وتشهد على طيب

سرائرهم محاسن أخلاقهم وأعمالهم الا وشاهد منه معجزة ظاهرة ورأى منه بينة باهرة حتى ان جماعة من الذين ليسوا من أهل ديانته رأوها منه وشهدوا بها كما كتبنا بعضها فى كتاب الفرائد – وهذه من خصائص هذا الظهور الانور الابهى دون الظهورات المقدسة الاولى ومما أنا رأيته وأشهد عليه وأشهد الله تعالى بين يديه وقايع خلع السلطان عبد العزيز والحوادث التى وقعت بعدها فقد أخبرنى الذبيح المرحوم فى سنة (١٢٩٣) من الهجرة الموافقة لسنة (١٨٧٦) من الميلاد بجميع جزئياتها وكلياتها، وقرأ علىّ لوحَ الرئيس ولوح (لثظ) فاطلعت عليها قبل وقوعها بسبعة أشهر تقريبا ، وكنت اذ ذاك فى دين آبائى على مذهب الامامية ، ولا أصدق بامكان وقوعها . فعاهدنى حضرة عبد الكريم «مبلغى» عليها حتى جاء أوانها وتحقق حدثانها وأدل من ذلك مافى ألواحه المقدّسة من الاخبار عن الحوادث الآتية التى عبر عنها فى الالواح بالبينات مما سيخبر العالم أهله بوقوعها، ويتطلع عليها النائمون بعد طلوعها *

ومما ينبغى أن يتنبه اليه أولوا البصائر هو بعض الحوادث التى وقعت فى أيام ربنا الابهى جل ذكره الاعلى حيث انعقدت كرارا فيها مجالس علمية وملكية . وتفاوض فيها كبار القوم فى مقاومة نفوذ الكلمة الالهية ، وطلب المعجزات العمومية . وانتهى الامر أخيراً الى التمسك بقوّة الاغتصاب والاضطهاد كما هو الشأن المأثور

دائما من خلائق أهل الاستبداد *

ومن جملة تلك الحوادث المذكورة ماوقع فى سنة (١٨٨٢) من الميلاد المتابقة لسنة (١٣٠٠) من الهجرة حيث قبضوا بلا داع وحجة باغواء العلماء وأمر الأمير كامران ميرزا . الملقب اذ ذاك (بنائب السلطنة) على جماعة من أهل البهاء – وكذلك فى سائر البلدان من قبيل مدينة رشت حاضرة جيلان ومدينة همدان ومدينة أصفهان ، وغيرها من البلاد حتى ارتجت لها أقطار ايران ، وعمت البلية جميع البلدان . فان العلماء والولاة كانوا يغتنمون مثل هذه الفرص لسلب أموال الناس ، واظهار مافى قلوبهم من بغض أهل الايمان ، وعجزهم عن مقاومة أهل البهاء بالدليل والبرهان * وكان ممن أخذوا وسجنوا فى طهران ذاك الرجل المعروف بالاستقامة ميرزا محمد رضا اليزدى فانه رحمه الله كان آية فى التقوى والتقديس والصدق والاستقامة فى أمر الله : حتى اعترف بفضائله هذه ألد الأعداء . ولانَ لمناقبه الباهرة أقسى قلب من قلوب أهل البغضاء وقد انعقدت فى تلك الايام مجالس للمناظرة مع أحباء الله فى بيت الامير المذكور بقصد الافحام والالزام . لا بقصد الاستفهام والافهام وكانوا يستعملون فيها أقبح أنواع السباب والشتائم التى هى سلاح كلّ عاجز جاهل * والسيف المسلول لكل حقود خامل . اكثر من الدليل والبرهان والحجة والتبيان ، ومما هو المعهود من عوائدهم أنهم

يتمسكون في أول المناظرة بالضروريات الدّينية على حسب مصطلحاتهم الفقهية بمعنى أن المهدي القائم بامر الله لا يجوز له أن يخالف شيئا من عقائدهم ، أو يغير سنة من سننهم وعوائدهم كأنهم مرسلوا القائم بامر الله وليس الله مرسله ، وهم منزلوا روح الله وليس الله منزله فعينوا لهما جل ذكرهما وعز اسمهما قبل ظهورهما شرائع وآدابا لا يجوّزون لهما ان يغيراها ، ورسموا لهما خطوة لا يأذنون لهما أن يتخطياها على تباين عقائدهم وعوائدهم واختلاف اديانهم ومذاهبهم ، فيتحير المهدي عليه السلام إذ ذاك في أرضاه الطوائف والملل أيتبع مثلا أميال أهل السنة والجماعة الذين حكموا عليه ان يحكم بفقه الحنفية او يميل الى الشيعة الذين فرضوا وأوجبوا عليه اتباع الطريقة الامامية تعالى الله عما يقول الظالمون علوّا كبيرا *

وخلاصة القول انه لما كان الاحباء يفحمونهم في هذا المضمار بصريح العقل والقرآن والاخبار كانوا يتمسكون بالمعجزات ويقترحون الآيات ولا يكلفون نفوسهم المترفة المترفهة ان يحضروا (على الاقل) مثل الامم الغابرة بين يدى مظاهر امر الله ويطلبوا منهم المعجزات ويقترحوا عليهم تلك المهلكات بل كان كل واحد في بيته ووطنه يقترح مايوحي اليه ضميره وأفكاره ، ويخترعه هواه وأنظاره * وكان الاحباء يجيبونهم في كل تلك المجالس بان المعجزات لا تغني شيئا في هذه المطالب ، ولا تفيد فائدة اليقين والاطمئنان للطالب

ولم يكن سبب هلاك الاولين الا طلب المعجزات من أنبيائهم وامتحان الرسل باقتراحاتهم ، واذا كان ولابدّ منها فأجمعوا أمركم واتفقوا بينكم على طلب آية واحدة معينة فى يوم معلوم : وأعلنوا لاهل طهران بما عاهدتم عليه وركنتم اليه ـ ثم أطلبوها من مشرق أنوار الله الابهى ليظهر لكم تلك الآية الكبرى ـ اذ لا يعقل أن مظاهر أمر الله يجيبون جميع مقترحى تلك العجائب فى مطالبهم ومآربهم فانه لولم يكن اطلب الدين وفهم الحق ليقترح اذا كل انسان معجزة فى كل يوم بل فى كلّ ساعة وآونة للتفرج عليها والتلهى بها ـ فيتبدل مجالس النبوّة والرسالة ومنازل الحكمة والهداية بمحافل اللعب والشعوذة ، ومقاعد اللهو والخلاعة والى هذا يشير قوله تعالى فى القرآن الحكيم حيث قال (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض) أى لفسدت الامم والاديان على ما فسر الرب تعالى لفظ السماء بسماء الدين والارض بقلوب المؤمنين فانها هى أرض العلم واليقين ـ فى كتاب الايقان *

ففى تلك الايام التى كنا مسجونين فى بيت الامير (نائب السلطنة) دعانى يوما مّا الى حضوره ـ فلما دخلت عليه وجلست بين يديه . وكان عنده جماعة من الامراء وقوّاد العساكر . خاطبنى وقال . يا أبا الفضل ان ميرزا محمد رضا يقول أطلبوا أىّ معجزة تتفقون عليها بواسطة التلغراف من محضر بهاء الله وهو بلا شك

يجيب طلبتكم ويظهر بالقدرة الملكوتية المعجزة المطلوبة اجابة لمسألتكم
واذا لم يظهر (على فرض المحال) المعجزة المسؤلة والآية المطلوبة
أنا اساعدكم أيضا على ردّ الطائفة البابية . وأنادي على ضدهم فى كل
الممالك الاسلامية (كناية عن وثوقه واعتماده على صحة مبدئه واعتقاده)
فأجبته وقلت لابدّ ان يكون وانقا تمام الوثوق بظهور المعجزة حيث
وعدكم بهذه الصراحة ولم يخطر على باله أقلّ شك وترديد ، وهو معروف
عندكم باستقامته على هذا الامر وحرية ضميره وصدق لهجته . فسألني
قائلا ما رأيك أنت فى هذه المسألة (يعنى فى طلب المعجزة) أوترك
الطلب . فاجبته وقلت اذا ماهو سبب ترديدكم وعلة تسويفكم وتأخيركم
فى طلب المعجزة وانهاء المسألة ـ سمعتكم كرارا تقولون اذا كان ظهور
بهاء الله هو ظهور الرب الموعود فى القرآن لِمَ لم يظهر لنا معجزة
وهاهم أهل البهاء حاضرون لاجابة مطلوبكم * واسعاف مأمولكم
لمعر الله انهم أكملوا الحجة لديكم * وأقاموا البينة عليكم * وانتم
غافلون عما يطرأ عليها من سوء العاقبة وكراهية المغبّة ، ورأيي فى
هذه المسألة أن تنظروا فيها نظر الباحث المنصف . لانظر المماحك
المتعسف . ليبقى لكم ذكر خير ولسان صدق فى الآخرين . ولا
يصيبكم ما أصاب الاولين . واعلم أيها الامير أن المنع والزجر والحبس
والقتل وأمثالها من صنوف الاضطهاد لاتمنع نفوذ هذا الامر والناس
لا يتبعون الملوك فى دياناتهم ولا يتركون الدين الذى اتخذوه سببا

لنجاتهم مراعاةً لأكابرهم وامرائهم . بل لو تنظرون بنظر البصيرة ترون أن المنع او الزجر يصير سببا لمزيد الطلب والاقبال * والحبس أو القتل يزيد الامر اعتبارًا وعزة فى أنظار المتبصرين من الرجال * فانه امور الحق لايستهان بما يصرف فى سبيله النقود والاموال . فكيف ماتبذل فيه النفوس والارواح ، ويحلو فى سبيله حمل أشد المصائب والاهوال أما كفتكم تجربة أربعين سنة لمعرفة هذه الحقائق الواضحة وترك الحزم باغواء جهلة الفقهاء الذين هم عند العاقل ألد أعداء دولتكم وأكثر النَّاس كرها لحكومتكم . اذا كان مقصودكم حفظ الامة عن الضلالة فى أمر الدين ، وما أرسلتم عليهم حافظين *

امَّا ذا كان مقصودكم حفظ دولتكم وصيانة سلطنتكم فلعمر الحق لاأرى وجها ابقاء الخوف فى صدوركم بعد أمر السيد العظيم بهاء الله أتباعه بموالاة جميع الملل * وترك المنازعة مع جميع المذاهب والنحل . وطاعة الملوك والامراء * واحترام الفلاسفة والعلماء * والرضوخ للقوانين الدولية * وعدم التداخل فى الامور السياسية . ونهاهم نهياً لايقبل الترديد والتأويل والتغيير والتبديد عن النزاع والجدال ، والمغالبة والنزال من كلّ مايحدث الكراهية فى النفوس والحزازة فى الصدور حتى عن المفاخرة والمنافسة لئلا يحدث ماينافى الانسانية ويخل بحفظ الهيئة الجامعة البشرية * ولذلك ترون أن أهل البها . يتحملون كلّ ظلم وهوان . بل كلّ خسف ودمار * ولا يتجاهرون بالتأوّه والشكوى

ولايحيدون عن محجة الاطاعة والولاء * وليس ذلك خوفاً وجبانة وضعة ومهانة * فانكم جربتم شدة بأسهم ، وصعوبة مراسهم وعظيم صبرهم فى مواقف الردى ، وثبات جأشهم فى هجمات العدى . بل كل ذلك اتباعا لامر ربهم الابهى وتكميلا لفضائل الانسانية الحقيقية التى لا يصلح العالم الا بها . وليس من الأمور السهلة الهينة أيها الامير الجليل أن تجد دولة رعايا يرون اتباع أوامر دولتهم من الفرائض الدينية . ويعتقدون ان الرضوخ لقوانين الدول انما هو من الاوامر الالهية . ولو أنصفتم لاعترفتم بأن هذا أعظم فضل الهى ظهر لاصلاح العالم ، وأعلى موهبة سماوية نزلت لازالة الاحقاد الكامنة المتمكنة فى صدور الأمم *

وخلاصة القول انه دار بيننا من الكلام فى طلب المعجزات وغيرها من المسائل ما يستحق الاعتبار ، ضربنا عن ذكرها صفحاً رعاية للاختصار . وأخلصت النصيحة له فيها . وأكملت الحجة عليه بها . ولكنه حفظه الله وأيده على ما به بقاء عزته فى آخرته ودنياه . لم يؤثر فيه شيء منها . بما أحاطه من وساوس الفقهاء . ومكايد الاغبياء . فتشاوروا وأجمعوا أمرهم على مناوأة أهل البهاء . وابادة قوم لم يطلبوا الا خيرهم فى السراء والضراء . ولم يسعوا الا فيما يؤول الى عزهم وسعادتهم فى الجهر والخفاء فأبطل الله مسعاهم وأخطأ مرماهم . وفرق جمعهم وبدد شملهم ، وبقيت قصصهم وأخبارهم فى بطون

الصحف والآثار عِبرَة وذِكرَى لأَرْبَاب البَصائر وَالأبصار *

وأعجب وأقوى مما ذكرناه . حادثة وقعت في العراق . حينما كانت مدينة دار السلام مشرقة بأنوار نير الآفاق *

وخلاصة هذه الحادثة هي أنه لما أشرقت شمس وجه ربنا الابهى من أفق دار السلام ، وغلبت أنوارها الزاهرة على ظلمات الغيوم الحالكة المستولية على أمر النقطة الأولى . فانقشع ركامها . وانكشف ظلامها . وزال ضبابها وقتامها . فتجلى به وجه أمر الله واجتمع شمل أحباء الله . وزاد واتسع به نطاق نفوذ كلمة الله . فثارت بذلك احقاد الفقهاء والعلماء من الشيعة الذين لهم في العراق أهمية كبرى . وصولة ونفوذ أعلى . بسبب مشاهد أئمة الهدى . في تلك البقاع . وانها مقصد زوّار الشيعة الاثنى عشرية من جميع الانحاء والاصقاع . وكان الشيخ عبد الحسين المجتهد الطهرانى اذ ذاك مقيما في العراق . وهو الذى أبعدته دولة ايران الى تلك البلاد تحت ستار اسم مأمورية خصوصية في المشاهد المقدسة اتقاء لما كان راسخا فيه من أوصاف الطيش والتهور والتكبر الزائد . والنزوع الى الثورة . فأكسبته سمة هذه المأمورية بين العلماء نوعا من الرآسة والشهرة . فأغرته وسوسة أن له سلطة مطلقة ، وكلمة نافذة بين عموم الامة . فعمد هذا الشيخ لما رأى سطوع أنوار الامر ونفوذ الكلمة الالهية الى أن يقاوم أمر الله بالقوة الاستبدادية . وابادة عموم الامة

البهائية وسفك دماء غزيرة بخيالاته الثورية .(١)

فدعا أكابر الشيعة الاجتماع بعد ما تكلموا وتراسلوا ، وقرروا بينهم مقاصدهم أولا وتعاهدوا على أن يجتمع فى مدينة الكاظمية جمعية كثيرة من علماء مدينة نجف ومدينة كربلا وأكابر الشيعة المقيمين فى تلك البلاد ويجروا ما أضمروه من الفساد ووافقهم على ذلك قنصل دولة ايران المقيم فى بغداد . وقد دعوا اليهم أيضا العالم الكبير المسلم بعلمه وتقواه بين الشيعة شرقاً وغرباً (الشيخ مرتضى الانصارى) أكبر علماء ايران . أفاض الله عليه سحاب الرحمة

---

(١) الظاهر أنه رأى مارءاه خصوم الاديان السابقة كما يستفاد من مطالعة كيفية مقاومة قضاة اليهود لتلاميذ المسيح له المجد ، ومقاومة كهنة الاوثان لنفوذ كلمة المرسلين أن هذه الطريقة من العلاج هى الطريقة الوحيدة التى ابتكرها ذوق المعارف الفقهية ، فى مقابلة من عجزوا عن مقاومتهم بالادلة والبراهين القطيعة واوجدتها قوة استنباط الفروع من الاصول الظنيه الاجتهادية فى مدافعة من أجهدتهم قوة نفوذ الكلمة السماوية ، ولكن (وياللاسف) قل ما أفادتهم تلك الوسائل وبئس ما أكسبتهم تلك الرذائل كما تنطق به التواريخ الصحيحة وتشهد به الكتب السماوية ، (أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن)

والغفران ، ولكنهم دعوه باسم الضيافة . وأخفوا عليه حقيقة مقصدهم من هذه الدعوة . فانه رحمه الله كان بعيداً عن المقاصد الثورية ، مكبا على العبادة والدروس العلمية . مجانبا استماع شكاية أو كلمة سوء عن الامة البابية . اعتقادا منه ان هذه المسألة انما هى من مسائل اصول الدين مما لم يأذن الله تعالى عباده أن يتبعوا غيرهم ويعتمدون على اجتهاد أحد ، بل لام وأنكر على الذين اتبعوا فيها آباءهم وكبراءهم . أى ملوكهم وعلماءهم ، وأعطى حرية كاملة لكل أحد ان ينظر فيها بنظره ويعرفها ويفهمها بمجاهدته واجتهاده ، ووعدهم بالهداية فى هذا الاجتهاد . وأكد لهم الوعد بالوصول الى الحق . وحاشا أن يخلف الميعاد . والعلماء كانوا يعرفون هذا الرأى منه فى علم الاصول . ولكنهم ظنوا انه بعد ما دخل فيهم ورأى كثرتهم واتفاقهم لا يسعه الا موافقتهم ووفاقهم — فلما جاء يوم الميعاد واجتمع العلماء والأكابر فى مدينة الكاظمية ، وتقاطر الناس اليها من كل فج قام الشيخ الطائش بينهم خطيبا وأظهر المقصود من انعقاد تلك الحفلة وبين لهم مقصده من ابادة البابية — فلما سمع الشيخ المرحوم مرتضى الانصارى كلامه ، وادرك مرامه قام من المجلس فورا وخرج من بينهم . وكلما أصروا على بقائه ولزوم وجوده فيهم . وأرادوا إقناعه بالاتفاق معهم لم يقبل وأصر على الانفصال بل لم يبق فى مدينة الكاظمية أيضا . وركب فورا الى مدينة نجف مقام الروضة العلويه ومحل

اقامته الدروس الدينية ـ فلما انفصل الشيخ الكبير تفتت أعضاء القوم و تغيرت آراؤهم الا انهم لم ييأسوا من اجراء مقاصدهم بسبب سموّ مكانتهم وكثرة جماعتهم فرأوا أن يبعثوا رجلا من قبلهم الى المحضر الاقدس ويسألوه عن مقصده ومرامه من دعوته وقيامه وحجته وبرهانه . فاختاروا واحدا من العلماء اسمه (الحاج ملاّ حسن عمو) من اجلة أفاضل الايرانيين المقيمين بالعراق . وكان للشيخ عبد الحسين ثقة تامة بعقله ورزانته وفصاحة لسانه ومتانته . فلما وصل الرسول المذكور الى بغداد وتشرف بوساطة أحد الوجهاء الايرانيين المقيمين فى تلك المدينة اسمه (زين العابدين خان) بالمحضر الاقدس الابهى ، وبلغ رسالته من قبل العلماء ـ شرع لسان العظمة فى النطق والتبيان . وأطلق زمام البيان فى مضمار الحجة والبرهان . فأثبت حقية امر النقطة الاولى والمثال الاعلى ببيانات محيية للنفوس والارواح ، جاذبة للقلوب والالباب كاشفة لحقائق الحجة وفصل الخطاب . دامغة ومزيلة لشبهات المريبين وتشكيكات المشككين من جميع الوجوه والابواب ، وأخيرا طلب منه ببيانه الاحلى أن يخبر العلماء بما جرى وسمع ورأى من آيات ربه الابهى . ويطلب منهم أن يجتمعوا فى محضره الاعلى ليظهر لهم الحق ظهور الشمس فى وسط السماء . ويتم الامر بالحسنى ـ فلمّا رأى الرسول من قوّة حجته وسعة بيانه مالم يكن فى حسبانه ، وغمرته أمواج بحر معارف بهاء الله ووضوح تبيانه لم يسعه الا الاعتراف بعظمة سلطانه ،

والاذعان بسطوح أنوار برهانه ، نخضع وقال حقاً لا يمكن اثبات أمر من الامور الالٓهية وحقية دين من الاديان السماويه باكثر من هذا الوضوح والبيان ، وهذا المقدار من الحجة والبرهان ، فقد ظهرت الحجة الواضحة ظهور الشمس فى وسط السماء ، وتبلج صبح الحق تبلج الفجر من الليلة الظلماء ، ولكنّ حالَ العُلماء وتعنّت الفقهاء معلوم واضح للمحضر الابهى فاذا لم يكتفوا بالادلة العلمية ، والبراهين القطعية ، فهل من سبيل الى المعجزات الالهية والآيات السماوية ، ومقصوده ان يأذن له مولى الورى ليتمهد عند العلماء باظهار آية كبرى ، تنقطع بها ألسنة المجادلين من الجهلاء وتنصرم بها حبال أوهام المتعنتين من الفقهاء ، فأجابه سيد الورى ببيان واضح صريح غير مؤول قائلا ـ اذا فليتفق العلماء الذين اجتمعوا فى تلك الحفلة على تعيين آية مخصوصة . ومعجزة معلومة من الآيات الكبرى والمعجزات العظمى ، ليطلبوها من المحضر الاقدس الابهى ، حتى يظهر الله تعالى تلك الآية المطلوبة والمعجزة المخصوصة ، وينقطع بها حبل كل انكار وتشكيك ، وكل محاولة وتسويف ، كما هو المعهود من سنن الله تعالى مع الامم الغابرة المتكبرة فى الدهور الاولى ، فلما سمع الرسول « ملا حسن » هذا الوعد الصريح من لسان العظمة استأذن ورجع الى الكاظمية فرحا مسرورا ظنا منه انه يمكنه ان يقنع به تلك النفوس الطائشة العاتية الظالمة ، ويحسم به النوائب المترقبة من تلك الثورة المظلمة القاصمة ـ فلما قابل العلماء وأخبرهم بما شاهده

ورأى ، وسمع وأوعى من الحجج البالغة والادلة الواضحة ، وماوعد
به لسان العظمة اخيرا من اظهار المعجزة الدامغة والآية الباهرة ،
زادت حدة الشيخ الطائش وأجنه ذكر المناظرة واظهار الآية
فانه بسبب فرط العظمة وكبريائه ، وشدة عجرفته وخيلائه ، وحدته
الزائدة وعداوته المفرطة للنقطة الاولى وأوليائه كان لا يمكنه أن
يرى أحداً من البابية فكيف يعقل أن يرضى بالمناظرة العلمية ، أو
طلب آية من الآيات السماوية . وكان يخيفه ايضا وقوع الخذلان فى
مقام المناظرة ، ويرهبه احتمال السقوط فى مضمار المباحثة اكثر من تصور
ظهور آية عظيمة تخضع لها الاعناق ، وتتجلى بها انوار شمس الكلمة
الآلهية فى جميع الآفاق ، وهذه صفة عمومية وملكة راسخة فى علماء
جميع الاديان بما تغلب على طباعهم من جمود القريحة الفقهية ، وحصر
افكارهم فى دائرة ضيقة من المعارف الظاهرية ، ويتبعها غالبا وساوس
سوداوية ، لحفظ مراكزهم فى الرآسة الدينية * فاختلفت آراء
العلماء المجتمعين فى تلك الحفلة ، وانحلت عزائمهم ، وتفرقت كلمتهم
وتشتت جمعهم ، فخمد الشيخ الطائش الذى زاد لهيب نار عداوته
وثارت عواصف بغضته بما عقمت قضيته وحفلته ولم تنتج سوى ظهور
خذلانه وخسرانه بين امته الى ان يتمسك بالافكار السياسية ،
والاتفاق مع أصحاب المراكز العالية ، من أكابر الامة الايرانية الذين
لم يكن لهم شغل اذ ذاك الا قتل الابرياء ، ونهب أموال الفقراء ،

وتشتيت الرعيّة في جميع الممالك والانحاء ، وكانوا يرون ذلك خدمة كبيرة لدولة ايران كأنهم فتحوا لها ممالك ووسّعوا حدودها من جميع الارجاء فشرع الشّيخُ المتهيّج المنزعج من خذلانه في المكاتبة مع الامراء ، والمراسلة مع من يعرفه من أعداء أهل البهاء ، ودسّ الدسائس الدنيئة وبثّ الفتن المريعة ، الى أن أظهر الله تعالى عجزهم ، واضلّ سعيهم ، وخيّبَ آمالهم ، وقرّب آجالهم وأخمد ثائرهم وقطع دابرهم ، وبقيت قِصَصُهم عبرةً لمن اعتبر ، وتبصرة لمن أراد أن يتبصر ، ناطقة بخفة أحلامهم ، وضعة مداركهم وأفهامهم ، منبئة بسوء تأثير أفعالهم في أممهم وأقوامهم *

وأتمّ وأقوى ، وأدلّ وأجلى من جميع ماذكرنا من الحوادث الكبرى . والوقائع العظمى . ممايدلّ على اتمية براهين ربنا الابهى . هو كتاب السلطان الذي نزل في سورة الهيكل من قلم الرحمن باسم ملك ايران ، وبعثه في سنة (١٢٨٦) من الهجرة الموافقة لسنة (١٨٦٩) من الميلاد الى حضور الملك في ضواحي طهران . وقد بعث الكتاب الكريم الى حضرة الملك بيد رسوله الشاب البديع الذي ادهش العالمين بقوة ايمانه . وعظيم ايقانه . وجميل صبره واصطباره ، وعجيب سكونه وقراره ، وتحمل الموت المريع بشاشته ووقاره ، فان الاعوان القساة المردة الطغاة ، كووا اعضاءه ثلاثة أيام متوالية بالحديد المحمر بالنار ، حتى انتثرت لحومه من عظامه ، وانفصل كلّ عضو من مقامه ،

وهو لم يظهر ادنى تأوّه ، وتململ ولم يبد اقل انزعاج وتدلل ، حتى فاضت نفسه الطيبة وانتهت حياته المعجبة ، فصعد الى الرّفيق الاعلى والمنظر الابهى ، بوجه مشرق بهيّ ، ضاحك مستبشر تتلألأ انواره كالشمس فى رائعة الضّحى ، وفى ذاك الكتاب الكريم والسفر المعظم اكمل التبيان وأقام البرهان ، على حقية امره بقدر ماتسمح له الحالة فى الرسائل ، ويقتضيه المقام ، من لطف البيان ولين الكلام . ابان لهم عما تغير من اخلاق البابية وتلطف من خلائقهم واعمالهم بوجوده وقيامه بينهم فى دار السلام ، حيث صبروا على مرّ البلاء ، وشدائد الضراء — التى كانت تمطر عليهم بلا انفصال من تعصب العلماء واطماع الامراء ، ولم يحدث طول هذه المدة منهم ماتضطرب به المملكة او تشغل وتنزعج به افكار رجال الدولة ، واوضح لهم فى هذا اللوح المبين بادلة واضحة ، وعبارات صريحة ، ان المقصود من قيام مظهر امر الله ليس طلب الملك ولا البلوغ الى المراكز العالية الدنيوية ، كما تزعمه جهلة الشيعة ، ويتهمون به الامة البهائية زورا ، فان الممالك السياسية معطاة من الله الى الملوك والسلاطين ، وليس لاحد من اهل البهاء ان يخالفهم فى احكامهم أو يناقضهم فى آرائهم ، أو يعترض على سياستهم ، او يحدث فساداً فى مملكتهم . وقيام مظهر امر الله إنما هو مخصوص بالامور الدينية ، والمسائل الروحانية . مما يرجع الى تهذيب الاخلاق ، وتقديس النفوس وتحسين الافعال وتنوير القلوب . كما هم

موعودون به فى الكتب السماوية . وليس له رابطة بالامور السياسية*

وخلاصة القول إنه نزل من القلم الاعلى فى هذا الكتاب المبين مالو كان لرجال دولة ايران ذكاء وبصارة لحازوا به مجداً مخلداً . وا كتسبوا به فخراً مؤبداً . سوف تبكى عليه أخلافهم . وتندب على فواته أعقابهم . وأخيرا طلب الجمال الابهى من حضرة الملك أن يجمع بينه وبين علماء ايران فى محضره ويتفاوضوا فى حقيقة هذا الامر وبراهينه بمرآه ومسمعه . ويطلبوا كلّ ماهو مكنون فى ضمائرهم . ومخبوء فى سرائرهم . حتى يتبين الحق من الباطل ، ويمتاز المحق من المبطل ، ويظهر سبيل الهداية من الضلالة ، وطريق الرّشد من الغواية ثم فوّض الامر اليه ، سواء حكم له أو عليه ، يعنى أن مقصده المقدس انما هو ظهور الحق وتمييزه من الباطل للملك وغيره من الناس إكمالا للدعوة واظهاراً للحجة ، لاطلب التأييد والمساعدة ، فان الله تعالى وحده كاف لنصرة من أظهره ، وتأييد من بعثه انه هو غنى عن العالمين ، وبيده جنود السموات والارضين ، ولو أنصف المنصفون لاعترفوا بانه لم يتفق مثل ذلك فى ظهور مظاهر أمر الله فى الازمنة السابقة ، ولم تر العيون شبهه فى الدهور الغابرة ، فلا نطيل الكلام فيما حدث بعدها من الحوادث ، وماذا أنتج ذلك الكتاب المبين من النتائج ، فان ذلك راجع الى الكتب التاريخية ــ فلنرجع الى ما كنا نبحث فيه من البراهين الدينية ، التى يمكن ان يستدلّ بها

لاثبات حقية ظهور ربنا الابهى وطلوع جماله السنى الاسنى *

(وأما البشارات) أى الاخبار الواردة فى الكتب المقدسة ، فاعلموا أضاء الله وجوهكم ، ونور قلوبكم وشيد أركانكم ، وشرح صدوركم انه لما كان مقدرا فى علم الله تعالى وعظيم حكمته ان يتم اصلاح العالم واتفاق الامم ، وزوال امد الاوليات وانقضاء الدهور المظلمة بترا كم غيوم التحزب والاختلافات بظهور وجه الله الكريم . ومجيء يوم الله العظيم . فقد أخبر الله تعالى بساعة مجيئه وقيامه فى جميع الصحف والاسفار ، واخذ عهد ظهوره بلسان الانبياء من جميع الشعوب والاحزاب . اذ لم يوجد دين من الاديان الا قرن شارعه ومؤسسه قبول ايمانهم بالله بايمانهم باليوم الاخير ، وأكد لهم ان ينتظروا النجاة الاخيرة فى ذلك اليوم العظيم الخطير . فلم ينقض قرن من القرون الماضية الا وكان فيه رجل الهىّ سماوىّ عالى الصوت رفيع النداء ثابت العزيمة عظيم المضاء ، يصيح وينادى بمجيء الساعة الكبرى . ومحتومية ورود القيامة العظمى وقيام الرب الاعلى ، وظهور جمال الله البهى الابهى ، حتى طنت الآفاق ، من بشائر ذلك الاشراق ، وبلغت الى السبع الطباق ، وملئت منه الصحائف والاوراق ، ولذلك ترون اهالى كلّ ديانة من الديانات السبع الموجودة فى العالم منتظرين لمجيء الساعة الكبرى ، ومعتقدين بورود القيامة العظمى ، ودونت فى كتابهم الذى اتخذوه كتابا الهيا ، ووحيا سماويا بجميع أشراطها وعلاماتها

ووقائعها وحالاتها بجزئياتها وكلياتها ، حتى ارض موعدها ومحل اشراق نورها ، وزمان تحققها ، وتاريخ ظهورها ، كما هو واضح لمن تصفح تلك الكتب المذكورة ، وتعمق فى بشاراتها ، وأمعن النظر فى المقاصد الاصلية من اشاراتها . فانه وايم الله لو نظر اصحاب النفوس البالغة فى صفحات الكتب المقدسة لم يجدوها الا مجموعة آناشيد لهجت بها ألسنة الانبياء فى محامد ربهم الابهى وسفينة مثان تفردت بها طيور القدس فى بشارات مجيئه وظهوره فى القيامة الكبرى كما اشرنا اليها فى مقالاتنا الاولى ونكملها بعون ربنا فى تفاسيرنا الاخرى *

المقالة الخامسة

﴿ فى بيان أسباب اعراض الامم عن مظاهر أمر الله أيام ظهورهم ﴾

يا أهل البهاء المتمسكين بالعروة الوثقى التى لاانفصام لها كما عاهدكم بها ربنا الابهى – اذا علمتم الادلة والبراهين المثبتة لحقية مظاهر أمر الله عموما ، وأتمية دلالتها على هذا الامر الاقدس الأعلى خصوصا * فاعلموا أنار الله بصائركم ، وأخلص لخدمة العالمين نواياكم وسرائركم ، ونوّر بالمحبة الخالصة العالم الانسانية قلوبكم وضمائركم . أن مظاهر أمر الله على ماعلمتم من سطوع حجتهم وبرهانهم ، وظهور قدرتهم وسلطانهم ، وامتيازهم عن دونهم بجميع أخلاقهم وأفعالهم

وترفعهم عن غيرهم فى جميع أوصافهم وأحوالهم انما أنكرتهم الامم أيام ظهورهم وقيامهم ، وعارضتهم حتى عشيرتهم الاقربون فى أيامهم فبذلوا كل مرتخص وغال فى سبيل معاندتهم ، وتحملوا الشدائد والاهوال ، فى معارضتهم ، بل أباحوا اختلاق كل كذب وتهمة لتنفير القلوب عنهم وايصال الاذى اليهم ، وتمسكوا بكلّ دهاء وحيلة لابعاد القلوب عنهم ، وإثارة الجهال عليهم ، ولم يكن ذلك الاعراض والاعتراض ، والحجاج واللجاج الا لشبهات عرضت على ضمائرهم ، وحالت دون بصائرهم ، فأعمت قلوبهم وأظلمت عقولهم ، فظنوا انهم مصيبون فى الاعراض والاعتراض ، ولم يخطر على بالهم انهم ربما غلطوا واخطؤوا ليراجعوا النظر ويبحثوا فى الامر ، بل أيقنوا بانهم قد اصابت انظارهم ، واطمأنت نفوسهم وافكارهم حتى بالغ بعضهم ، وغلا فى الدّعاء قائلا (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطرْ علينا حجارة من السماء) اعتمادا على صحة نظرهم فى تكذيب الرسول عليه السلام اذ لم يعقل ان الانسانَ العاقل يخاطر بذاته ويعاند نفسه فى تكذيب رسول يعتقد صحة رسالته وصدق دعوته ويطلب الهلاك لشخصه وبالاخص امة كبيرة فى مدة مديدة بل كل ذلك لتأثير الشبهات التى طرأت على أفكارهم وحالت دون أبصارهم ، وأظهر دليل على فاعلية تلك الشبهات هو بقاء الامة العبريّة فى مدة تربو على الف وثمانمائة عام وهم مصرون على حفظ معتقداتهم فى تكذيب سيدنا

المسيح عليه السلام . وقد تحملوا فى مشارق الارض ومغاربها طول هذا الزمان المديد والامد البعيد اشدّ انواع الاضطهاد من القتل والطرد ، والذلة والهوان ، ولم يرفضوا تلك المعتقدات الباطلة ، ولم يرجعوا الى الكنيسة المسيحية الاّ بالاغتصاب والاجبار . وغيره من الطرق الدنيئة — بل لم ينقض عليهم يوم فى تلك المدّة الطويلة الاّ وهم باسطون أكفّ الضراعة الى الله تعالى سائلين من رحمته ظهورَ المسيح فى دعواتهم وصلواتهم . طالبين تقريب يوم قيامه بدموعهم وعبراتهم ، أليس ذلك اشدّة تمسكهم بشبهاتهم ، وقوّة فاعلية تلك الشبهات فى قلوبهم ومعتقداتهم ورسوخها فى عقولهم ، وغلبتها على احساساتهم *

ثم اعلموا أيها الاخيار . أن تلك الشبهات التى عرفتم كيف ثار فى آفاق الارض قتامها ، وحالت دون أبصار الامم شدّة ظلامها وان لم يمكن حصرها بالنّسبة الى الاشخاص . فانّ الانسان الباحث النبيه يرى لكل معترض بشخصه شبهة مخصوصة يعترض بها على مظهر أمر الله . اختلقتها أوهامهُ وظنونهُ وابتكرتها تخيلاته وشجونه . فانا وجدنا أعظم الكتاب والفلاسفة فى زماننا هذا لا يأنف من أن يعترض على مظهر أمر الله بما جنى غيرُه على عالم الانسانية أو يتخذ ما حدث فى القرون السابقة بين المذاهبِ من الفتن برهانا قاطعا على ردّ الامة البهائية ، وانما مثلُ هؤلاء النبهاء (على زعمهم) مثل من يشاور فى ابادة جميع المولودين فى زمانه وقتلهم بدليل انّ كثيرا من الذين

ولدوا سابقاً طاهو قتلة سلابين، وسرقة نهابين بعد ماشبوا وترعرعوا، أوأمر باقفال المدارس كلها وسد سبيل التعلم والتحصيل بحكم أن كثيرا من طلبة العلم ظهروا هراطقة ومبتدعين بعد ماتقدموا فى العلوم وبرعوا . فلعمرى بئست فلسفتهم هذه ترتيبا وانتاجا ، فما أعقمها قضية وما أبعدها وأسوأها نتيجة ، فيمكن والحالة هذه ان تعدّ الشبهات بعدّة نفوس المعترضين اذ لا يمكن حصرها تحت ضابطة فان كلّ واحد منهم لما يسمع نداء الدّاعى الى الله يتمسك فى رده بشبهة واهية ، وتشكيك غير مرتبط باصل الدليل والبرهان الذى هو المناط المعتبر فى تمييز الصادق من الكاذب ، والحق من الباطل لاموافقة الاهواء المتعارضة ، والاميال المتناقضة ؛ الا ان تلك الشبهات بالنسبة الى نفسها وذواتها ترجع الى ثلاثة أقسام كبرى مما يحسب العاقل البصير كلّ قسم منها وباء عاماً لهلاك القبائل والملل ومرضاً مريعاً شاملا لجميع الأديان والنّحل *

(القسم الأول) مايرجع الى مسألة (الرّجعة) فانه مامن دين من الاديان الموجودة الا ويعتقد أهله بهذه المسألة ؛ وينتظرون رجوع شخص معين مخصوص ؛ أو أشخاص معلومة لتميم ديانتهم ؛ واعادة رونق شريعتهم ؛ فكما ترون مثلا الامة النصرانية منتظرة لرجوع سيدنا المسيح له المجد ، ومعتقدة كمال الاعتقاد بحتومية نزوله عليه السلام من السماء — كذلك الامة اليهودية منتظرة لنزول ايليا النبى

أى الياس عليه السلام من السماء قبل ظهور الرب الموعود ؛ وقيامه فى اليوم الموعود ؛ والامم الاسلامية أهل السنة والجماعة منهم يعتقدون نزول عيسى عليه السلام بعد ظهور المهدى - وأما الشيعة الاثنى عشرية فتعتقد أولا رجوعَ المهدى عليه السلام، وهو بزعمهم محمد بن الحسن العسكرىّ الذى غاب فى سنة مائتين وستين من الهجرة وهو الثانى عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ؛ وتعتقد ثانيا برجوع السبط الشهيد حسين بن علىّ بن أبى طالب عليهما السلام . الثالث من أئمة أهل البيت * ويعبرون عن رجوعه بالظهور الحسينى بعد ظهور المهدى وأما الامة الزردشية فينتظر رجوع الملك الكيانى الشهير (كى خسرو) الذى فسره بعض الاوربين غلطا (بكورش) الملك الفارسى المعروف فى ايام ظهور الموعود الذى يعتقدون انه يظهر من ايران فى آخر الزمان ، ويقيم الاموات ، ويوحّد الاديان ، وينتظرون أيضا رجوع رجال آخرين ممن لا سبيل هنا الى استقصاء تفصيل أسمائهم ، وذكر سبب رجوعهم وكذلك سائر الاديان والملل كما يعرفه المتتبع فى عقائد المذاهب والنحل *

فثبت مما ذكرناه بالاجمال ان مسألة الراجعة هى من المسائل المهمة التى ابتليت بها أصحاب الاديان ؛ وبها كذبوا كبار الانبياء ، وأعرضوا عن مظاهر امر الله فى جميع الازمان ، ثم قام فى القرن الثامن الهجرى ابن خلدون المؤرخ المغربى الشهير ، وانكر فى كتابه الكبير ظهور

المهدى عليه السلام ، وتبعه فى رأيه هذا بعض من أصحاب العقول الصغيرة والضمائر المظلمة لكى يتم بهم مابشر وصرّح واخبر به النجوم الزاهرة والانوار الباهرة من أئمة اهل البيت عليهم السلام (ان المهدى خروجه عند اليأس والقنوط) أى حينما تقنط النفوس الغافلة عن ظهوره ، وتنكر بشارات خروجه، وتيأس من آخر رجاء للتخلص من نوائب يوم عبوس مستطير بمصائبه وشروره *

وكذلك ظهرت فى الامم النصرانية جماعة غير قليلة أنكروا رجوع المسيح عليه السلام فى الجسد ، وحرفوا تلك البشارات الصريحة فى مجيئه وظهوره وفسروها باحاطة دينه وغلبة اتباعه مما لا ينطبق على تلك البشارات أصلا ـ لكى يتم فيهم ما أخبر به بطرس الرسول كما جاء فى الاصحاح الثانى من رسالته الثانية حيث قال (ولكن كان أيضاً فى الشعب انبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضا معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك واذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على انفسهم هلاكا سريعاً وسيتبع كثيرون تهلكاتهم الذين بسببهم يُجدّف على طريق الحق) الى آخر كلامه فى هذا الاصحاح . مما يطول بنا الكلام لو جئنا بجميع كلماته المقدسة فى هذا المقام ، ولكننا نوجه أنظار اولى الابصار الى التبصر والتعمق فيما جاء فى هذا الاصحاح فان ذاك الرسول المجتبى والامام المرتضى أخبر بأفصح عبارة وأبلغ بيان بجميع الحوادث التي حدثت من هذا القبيل فى الامة النصرانية

في القرون الاخيرة بكلياتها وجزئياتها مما يدل على روح مقدس طاهر محيط ناظر بحقائق الامور الآتية بدقائقها وخصوصياتها . فاذا تقرر عند امة أن المسيح له المجد لا ينزل من السماء رغماً عما وعد به صريحاً وصار هذا الرأى عقيدة عمومية ثابتة عند جماعة فلا بد من انهم ينكرونه حين نزوله أى عند ظهوره ويجدفون على طريقته . فيتم فيهم نبأ الرسول المجتبي بانهم ينكرون الرب الذى اشتراهم ؛ وبسببهم يجدف على طريق الحق . كما وقع تماماً فى هذا القرن الانور الابهى ؛ وستظهر صحة هذا النبأ بأتم وأجلى ، وقال أيضا كما جاء فى الفقرة الثالثة من الاصحاح الثالث من هذه الرسالة (واعلموا هذا اولا انه سيأتى فى آخر الايام قوم مستهزؤن . سالكين بحسب شهوات انفسهم ؛ وقائلين اين هو موعد مجيئه . لانه من حين رقد الآباء كل شيء باق هكذا من بدء الخليقة) الى آخر هذا الاصحاح - وهذا أيضا مما يستحق كل التفسير والايضاح عما فيه من جواهر المعانى الغالية المختومة كما سنفسره فى محله ان شاء الله تعالى فى غاية الوضوح والافصاح - وهذه العبارة أيضا تدل على ماذكرناه من ان جماعة كثيرة ينكرون مجيء سيدنا المسيح له المجد . فلا نتعجب اذاً من انكار الكثيرين لنزوله وتحريفهم البشارات الصريحة فى مجيئه وظهوره ؛ ومما يجب أن ينتبه اليه هو انه بمقدار ما أوجدت محاولات المنكرين لنزوله عليه السلام بالجسد شكوكا فى القلوب المريضة كذلك أوجدت فى القلوب الصافية

علماً ويقيناً أظهر وأجلى ، وأورثت فى النفوس الطاهرة ثبوتاً ورسوخاً أتمّ وأقوى – اذا أيّ برهان يمكن ان يقام على صحة مبدأ تلك البشارات فى مفاهيمها الاصليّة – أى نزول روح الله فى الهيئة البشرية أعظم وأظهر وأقوى من تحقق تلك الاخبار بعد انقضاء قرون وأدوار . أليس أخبار ذلك الرّسول المجتبى حينما لم يكن للنصرانيّة جمعية وهيئة اجتماعية يذكرها المؤرّخون ، ويعتبرها الكاتبون بأخبار وحوادث تحققت وظهرت بعد انقضاء تسعة عشر قرناً أدلّ دليل على انها من الاخبار السماوية والانباء المعلنة بالقوة القدسية الآلهية *(١)

(والقسم الثانى) مايرجع الى العلامات والأشراط النازلة فى الكتب السماوية . فقد ذكرنا انه مامن نبي من الانبياء . ومؤسس دين من الاديان الاوخصص قسما من كتابه لبيان مجيء يوم الله ، وتبشير قومه بظهور وجه الله ، فذكر لهذا النبأ العظيم أشراطاً وعلامات ، وليوم ظهوره حوادث وواقعات بعضها تحت الاستعارة والتلميح ، وبعضها بالصراحة والتوضيح كما هو شأن أهل اللسان فى جميع القرون والازمان ، من قبيل انفطار السماوات ، وظلمة الشمس والقمر ، وسقوط النجوم ، وانتثار الكواكب ، وتجديد الارضين ، وتبديل السماوات ، وقيام الاموات ، وطيّ الاولّيات ، وغيرها من الشروط والعلامات ، مما سيجيء مفصلا فى طيّ المقالات ، ويعرفه كلّ من راجع

(١) الى هنا ترجم الى اللغة الانجليزية كذا بالاصل

الكتب السماوية - أو تكلم فيه أصحاب الشرائع والديانات ، وهذه العلامات هي مما لاشك في وجوب الاذعان بها إلا أن علماء كل دين اعتمدوا في فهمها وادراك معانيها على أفهامهم وادراكاتهم ففسروها وشرحوها على ظواهرها ومفاهيمها العرفية في كتبهم ومصنفاتهم، وعلموا بها الامة في دروسهم وخطاباتهم . وكرروها في مدارسهم وجمعياتهم حتى صارت مفاهيمها العامية الظاهرية عند الامة حقائق راهنة . ومطالب مسلمة . وعقائد دينية بل مسائل ضرورية * خصوصا بعد ماز اولوها وتداولوها في الايام والشهور . وتوارثوها في الاحقاب والدهور * حتى صارت ثابتة في اذهانهم ، وراسخة في قلوبهم ثبوت الجذور في الاراضي - أو النقش على الصخور * فكلما طلعت من سماء أمر الله شمس من الشموس الآلهية ، وتجلت من عالم الغيب روح من المطالع القدسية أنكرتها الامم وأعرضت عنها الملل بما لم تظهر بعد بزعمهم تلك البشارات ولم تكمل باعتقادهم تلك العلامات، وبعبارة أوضح لم يظهر نبي عظيم من الانبياء ، ولم تقم نفس مقدسة لتأسيس الدين باذن الله الا وكان أول ما اعترضت به عليه الامم هو هذه العلامات والأشراط . فالامة اليهودية لم تكذب مثلا سيدنا المسيح له المجد الا وكان أول اعتراضاتهم ان لظهور المسيح علامات وشرائط ثابتة واضحة في الكتاب وهي لم تظهر بعد . فاذا سقط الشرط يسقط المشروط بالضرورة * اين ظلمة الشمس وقت ظهور عيسى . أين تبدل القمر بالدم . أين سقوط النجوم .

أين رعى الذئب مع الحمل . أين أكل الاسد التبن كالبقر . متى أخرج الطفلُ الصلّ والافعى من جحورها كما صرح به أشعياء . أين تبديل السماء بالنحاس والارض بالحديد والمطر بالغبار . كما اخبر به موسى . أين قطعُ الرّبِّ مع كلّ شعوب اسرائيل عهداً جديدا وجمعهم من شمال الارض وجنوبها ومشرقها ومغربها بعد تشتتهم وافتراقهم ، وعزّهم بعد ذلتهم وانحطاطهم ، وغرسهم بعد اقتلاعهم جمعا لا يتشتت وعزا لا يتبدّد وغرسا لا يقلع ، ومتى بنى الرب الصهيون بناء لا ينهدم وأمنها أمناً لا ينزعج كما بشر به أرميا . فهل كل تلك الحوادث وقعت فى زمان ظهور عيسى أم خدع الله عبادَه بهذه الاشياء — حاشا لعز جلاله وسمو كرمه وافضاله . فلا بد من ظهور كل تلك البشارات وتحقق تلك الوعود والاشارات وان طالت بها الازمان وتتابعت القرون والاجيال *

وهكذا يقول النصارى فى رد شارع الاسلام ؛ والمسلمون فى رد النقطة الاولى ؛ وأهل البيان فى الاعتراض على الجمال الابهى ومن أعجب العجائب ان الامم المذكورة تابع بعضهم بعضا ؛ ومشت الاخرى خلف الأولى ؛ ولم تتفكر واحدة منها فيما أصابت أختها من فتن التمحيص والتخليص ، ودواهى الامتحان والابتلاء لعلها تتجنب تلك المهلكة الكبرى ؛ وتجتنب ما أهلك الامم الاولى وتتخذ الى ربها طريقة مثلى — وذلك من عجيب صنع الله تعالى فى

ختم القلوب وصرف الابصار ؛ وعظيم قدرته فى خلق الشعوب واتباع الآثار . فثبت مما بيناه ان انتظار تكميل العلامات هو احدى الفتن الكبرى التى منعت الامم الاولى عن اجابة الداعى الى الله فى جميع القرون والاعصار *

(والقسم الثالث) مايرجع الى أبدية الشرائع وعدم جواز تغيير الاديان . فانه مامن أهل دين من الاديان الموجودة بل كل مذهب من المذاهب الا ويعتقد ان جميع ماعندهم من الشرائع والاحكام والعوائد والآداب أبدية لايجوز تغيير شيء منها ؛ ولا تبديل حكم من أحكامها . فاذا رأينا فى النصارى ان الارثوذكسى مثلا يعتقد ان الطريقة الارثوذكسية هى الشريعة الابدية وهى الدين الوحيد الذى يعلنه المسيح له المجد حين نزوله لاهل العالم ، والكاتوليكى معتقد فى مذهبه مثل مااعتقده الارثوذكسى فى طريقته ، والانجيلىّ أى البروتستانى بالطريق الاولى حيث ان طريقته بزعمه هى الطريقة الاصلاحية الكبرى — وكذلك اليعقوبية والنسطورية — وغيرها من الشيع الصغرى ، وفى الاسلام ان اهل السنة والجماعة يعتقدون ان المسيح لما ينزل من السماء ليس له الا أن يحكم بين الناس بالفقاهة الحنفية . الا أن الشافعية والمالكيه والحنبلية يزاحمون الحنفية فى هذا الاستثنار ايضا ، ويدعى اصحاب كلّ مذهب منهم ان عيسى عليه السلام لابد له حين نزوله من أن يقضى بين الناس بما عند اصحاب

ذلك المذهب من القواعد الفقهية *

وأما الشيعة الاثنى عشرية فهم يفوقون فى هذا الادعاء أصحاب سائر الشيع والمذاهب حيث يعتبرون نفوسهم اخص الناس بالمهدى وعيسى عليهما السلام اذهم ورثة أئمة الهدى ، وأكثر الناس انتظاراً لظهورهما بين الورى . فلا يأذن علماؤهم وفقهاؤهم حتما بتغيير شئ من شرائعهم وآدابهم ، ولا يرضون البتة بتبديل حكم من أحكامهم حتى مثل مراثيهم وخطاباتهم ، وجرح رؤسهم ؛ والضرب على صدورهم فى مجامعهم واحتفالاتهم . فبزعمهم لابد للمهدىّ القائم بامر الله وروح الله النازل من السماء ان يتبعا فى الدين آراءهم ؛ ويقتفيا فى الحكم آثارهم ؛ هذا عدا سائر الطرق والمذاهب المتشعبة من أديان البوذية والبرهمية والصابئة والزردشتية مما لايمكن عدّها فى مثل هذا المختصر ؛ وكلّ فرقة تعتقد ان طريقتها هى الطريقة المنجية التى يجب على القائم بامر الله أن يعلنها وينشرها ، ولا يجوزون تغيير حكم من احكامها ؛ وسنة من سننها ؛ وسموها الضروريات أى المسلمات والمحتومات * فاذا كان هذا حال أصحاب المذاهب وعقائدهم فى الاحكام والعقائد المذهبية التى هى جزئية وصغيرة بالنسبة الى العقائد والاحكام الدينية فلا نعجب اذا رأينا اليهود مثلا حافظوا على عقائدهم ؛ وكلا من النصارى والاسلام والزردشتية والبوذية والبرهمية والصابئة على معتقداتهم فى أصول اديانهم ؛ ورأوا من الضروريات والبديهيات ابدية اصل

شرائعهم. فان الامة التى ترى من أهم واجباتها المحافظة على عقائدها الفرعية المذهبية لا يدهشنا كثيرا ان نراها ضحت كلّ شىء من آخرتها ودنياها لحفظ عقائدها الاصلية الدينية بل يجب علينا ان نفهم وندرك من هذا السبيل مقدار عظمة القوّة الملكوتية المعطاة لمظاهر أمر الله كيف قلّبوا الديانات العتيقة بهذه القوة القوية السماوية ، وفرقوا بين الامم وعقائدها بهذه القدرة الباهرة الالهية كما أشرنا اليها فيما مضى من مقالاتنا فى هذا الكتاب مرارا . فانهم غفلوا عن هذه القوة الباهرة ، وضلوا المنهج القويم ، وتاهوا فى غياهب الظلام البهيم ، وشردوا فى فيافى الاوهام . فصدفتهم المصائب الجسام . أن يهتدوا الى مطلعها ومشرق انوارها . فيستبركوا من أنفاسها ويتنوروا من نبراسها ، ويقتبسوا من قبساتها ، ويصطلوا من جذواتها . فيجدون نورا وبرهانا ، وروحا وريحانا فى رياض النعيم ، ويرجعون الى جوار رحمة ربهم الرحمن الرحيم . فثبت مما ذكرناه أن الاعتقاد بابدية الشرائع والاديان إحدى المصائب الكبيرة التى ابتليت بها الامم الماضية باجمعها بل هى أكبرها وأدهاها ، وأصعبها ذوالا وأقصاها اذ ربما تتساهل أكثر النفوس فى ترك اعتقادها فى مسألة الرجعة أو العلامات ، ولكنها لاتتساهل فى تغيير حكم من أحكام ديانتها . وتبديل سنة من سنن مذهبها وشريعتها ـ حتى الذين يعدون عند أهل البصارة من ألدّ أعداء الدين ، وأشد الناس كرها الانبياء

والمرسلين من قبيل مقلدة الفلاسفة الطبيعيين والماديين والدهريين. فانهم أيضا يتعصبون للديانة التى ولدوا فيها ، ويغارون كثيرا للشريعة التى نشأوا عليها . بل هؤلاء كثيرا مايظهرون أكثر تعصب من المتدينين الحقيقين ، وأكبر بغض وعناد لمظاهر أمر رب العالمين. وانى لن أنس ابدا ماشاهدته يوما من احد تلاميذ (ج د) المعروف ببغضه وانكاره للشرائع الالهيّة أيام اقامتى فى القاهرة المعزية . مما ظهر منه من الغيظ والكدر والانزعاج ، واحمرار الوجه حينماذكر فى الاثناء ماحوره وغيره الجهال الابهى من بعض العوائد الاسلامية فان فى تلك الاوقات بسبب الجامعة الوطنية كانت تتفق بيننا المقابلة والمحادثة فى أكثر الايام وكان غالبها فى منزل حبيبنا حضرة محمد سرى الختام وكان يدور بيننا من المباحث العلميّة مايلذ ويطيب من جميع أبوابها ونشرب من سلاف المعارف بكلّ أكوابها ، وهو فى أكثر مباحثه كان يحوم حول مسألة الحريّة ، ويظهر الميل الزائد الى وجوب اطلاق الافكار عن القيود الدينية ، ويتلهّف كثيرا من بقاء الناس بزعمه فى قيود العقائد الوهمية ، وكان يمدح المعرّى كثيرا بانه كان من أعظم الفلاسفة ويتمثل بمثل أشعاره هذه *

أتى عيسى وبطل شرع موسى * وجاء محمد بصلوة خمس
وقالوا لانبيّ بعدَ هذا * فضلّ القوم بين غد وأمس
ومهما عشتَ فى دنياك هذى * فما تخليك من قمر وشمس

اذا قلت المحال رفعت صوتي * وان قلت الصحيح أطلت همسي

وغير هذه من أشعاره التي نجل كتابنا هذا من ان نلوثه بذكرها وهي محفوظة في ديوانه ، وفي تاريخ أبي الفدا ـ ففي ذات يوم كان يتكلم في المسائل المتعلقة بالامة الايرانية ، وتغلغل كلامه الى ذكر مراتب انحطاطهم في مدارج الحضارة والمدنية بسبب العوائد الباطلة التي تخللت بين أحكام ديانتهم ، ووجوب تغييرها وتبديلها بما يناسب ظروف ايامهم ومملكتهم ، وهو يشير في كلامه عن العوائد الباطلة الى الاحكام الجوهرية الاسلامية ، ولا يأنف ولا يستنكف من ان يعبر عن الصوم والصلاة والحج وامثالها بالاعمال الخرافية . فلما انتهى كلامه الى هذا المقام ذكرته بالاحكام والشرائع التي شرعها الجمال الابهى ، وفتح بها على جميع الامم أبواب مواهبه الكبرى . فانه جل ذكره وعز اسمه شرع شرعا منبسطا ساميا لا ينكر محاسن احكامه وحدوده أحد من أصحاب العقول الراجحة ، ولا تخفى معالي سننه وآدابه على أرباب البصائر الكاشفة . فانه عبارة عن ديانة اجتمع فيها وضوح محاسن أحكامها وآدابها ، وحفظ حقوق جميع الامم ومقتضيات أقاليمها وأوقاتها . فلما سمع اسم الجمال الابهى جل اسمه الاقدس الأعلى احمر وجهه وتغلظ صوته واضطربت اعضاؤه واركانه وتغير نوع كلامه وبيانه . فصار متعبداً عامياً بعدما كان حراً فلسفياً . ومؤمنا متنسكا شيعيا بعد ما كان منكراً مطلقا طبيعياً . فاظهر غيظاً زائدا . وكرهاً فاضحا ـ لتغيير ما سنته آراء

علمائهم، وأبدى تكبدرا واضحا لحوما اوجدته قريحة فقهائهم . وهو شفاه الله وعافاه . وقربه الى حضرته وهداه. كان لا يعتنى ولا يبالى بشىء من الفرائض والنوافل الدينية ، ولا يمرض ولا ينتهى عن المناهى الصريحة الاسلامية ــ ومع ذلك كله يغيظ ويغار كثيرا على تغيير شىء من العوائد الشرعية . خصوصا اذا كان ذلك باسم الامة البهائية فانه مما لا يمكنه استماع اسمه . ولا الصبر على شىء من ذكره اذ يبلغ الغيظ منهم حينئذ الى حدّ السفاهة والجنون ثم الى الوقاحة والهجوم فيجبر الانسان اما الى أن يتركهم ويفرّ منهم أو يخوض فى حديث غيره ليسكن منهم ثورة العصبية الجاهلية حديث ذى شجون ، ويهدأ منهم ثأر الغيظ فى أساليب الفنون *

فاذا أمعنتم النظر ايها الابرار فيما ذكرناه بالتفصيل تجدون ان اعتراضات الامم على مظاهر أمر الله لا يخرج عن اقسام الثلاثة التى بيناه مفصلاً . اذ هى اما راجعة الى شبهات رجعة اشخاص مثل انتظار رجوع ايليا ، ونزول سيدنا عيسى ، ورجعة محمد بن الحسن العسكرى والسبط الشهيد ، وامثالهم كما ذكرناه سابقا ــ وإما راجعة الى خواص صاحب الامر وعلامات رجوعه وظهوره من قبيل معجزاته وآياته ، وعلائمه وسماته ؛ وحوادث يومه ووقائعه ؛ من قبيل انفطار السماء وظلمة الشمس والقمر ؛ وانتثار النجوم ، وظهور الدجال وغيره من الحوادث والاحوال . مما سيبين مفصلا فيما يأتى من المقال .

وإما راجع الى تغيير الشرائع والاحكام، وتبديل السنن والآداب. مما كانت الامم تحسبه من الاوامر الابدية وتعتبر عدم تغييرها من الضروريات الدينية . فتحسَبُ تلك الموانع والحجبات الثلاثة من أشد المصائب على الامم ، وتُعَدُّ عند العالم الرشيد من أعظم البلايا على أهل العالم . فكم من أمة عظيمة انعدمت بها ، وكم من ملة فخيمة انسحقت منها ، وكم من نفوس كبيرة احترقت من لهيب نارها ، وكم من عقول نيرة اظلمت من تراكم قتامها وغبارها . فلا نستشهد بعاد وثمود ، والمؤتفكات وأصحاب الاخدود ، وغيرهم من الامم الكبرى ، والملل العظمى . التى كذبت رسلها بتلك الشبهات ، وأنكرت انبياء الله بتلك الخزعبلات . فأنزل الله تعالى عليهم بأسه ومَثُلاته ، وأخذهم بسطوته ونقماته . فأبادهم بقدرته من بين مخلوقاته ، ولم يترك لهم اثرًا الا فى بطون الصحايف والآثار ، ولم يبق لهم ذكرًا الا ليعتبر به أهل الاعتبار ، ويتذكر أصحاب الاستبصار . بل نستشهد بالامم التى ابقى لهم بقية يبكون على سالف أيامهم وقديم أزمانهم ، وعظيم عمرانهم ، وجليل سلطانهم . ليكونوا اشهداء على كفرانهم . وناطقين بافصح لسان على ماانى الله به على بنيانهم . وأذهب به كيد شيطانهم . أليست الامة اليهودية انكرت السيد المسيح له المجد بسبب تلك الشبهات ، وتحملوا أكثرَ من الف وثمانمأة عام جميع ضروب النكبات والبليات لتمسكهم بتلك المتشابهات ــ أليست

الفرس الاولى امة الا كاسرة الكبرى كذبت الرسولَ المصطفى ، وانكرت النبي المجتبى ، وجهلت طريق فلاحها بعين تلك الموانع الثلاثة العظمى ، فلا نطيل الكلام فى البوذية والبرهمية أو الصابئة والفتشية اذ هو أيضا من الواضحات والمعلومات . فان تلك الامم العظيمة لا يصرّون ايضا الى يومنا هذا على تكذيب الانبياء العظام . مثل موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام الا لتمسكهم بامثال تلك الشبهات المذكورة ، ولا يمنعهم عن الاعتراف بحقيتهم الا عين تلك الموانع . فيعلم مما ذكرناه ، ومن الامعان فيما حدث بين الأمم من العداوة والبغضاء والمنافرة والجفاء مقدار فاعليّة تلك الشبهات . وعظم تأثيرها من النكبات والبليات * ويا ليت سوء تأثير تلك الموانع والشبهات كان واقفا دون ما ذكرناه من المصائب والمحن . فانها كما أثرت من جهة الاذعان بها والاعتقاد بحقيتها هذه التأثيرات الهائلة التى ليست وراءها مصيبة أعظمَ تأثير فى ابعاد الامم والشعوب . وأكبر فعل فى إثارة الوقائع والحروب — كذلك أثرت من جهة انكارها وعدم الايمان بها أعظم تأثير فى اظلام البصائر والعقول ، وإقساء الضمائر والقلوب . اذ ليس بخاف على أرباب البصائر والمطلعين على الحقائق ان كثيرا من الفلاسفة والحكماء بسبب تعمقهم فى الماديات والطبيعيات ، وعدم ادراكهم حقائق الآيات والبينات . أنكروا احقية جميع الاديان والشرائع السماوية بل تجرأ كثير منهم على انكار ماوراء الطبيعة أى الذات الالهية .

فاعتبروا تلك الآيات العظيمة التى بشر بها الانبياء من قبيل ظلمة الشمس والقمر ، وسقوط النجوم وانفطار السماء وتشققها بالغمام ، وامتلاء الفضاء بالدخان ، وتبديل السماء والارض ، وقيام الاموات من التراب ومجيء الرب على السحاب جميعها من الخرافات ، وعدّوا وقوعها من المستحيلات والممتنعات . فصرّحوا فى مدارسهم وأنديتهم عند تابعيهم وتلاميذهم (واستغفر الله مما يجرى به القلم) بان الانبياء عليهم السلام غرّروا الناس ولعبوا بعقول البشر ، ووعدوا قومهم بالمستحيلات وأقنعوهم بالخرافات ، وجازفوهم فى مصادمة العقليات ، وأوقعوهم فى ظلمات الوهميّات . نعم كان يوجد فى الدهور الماضية ، والاحقاب الغابرة بين الحكماء والفلاسفة من الفرس واليونان والهند والكلدان مَن كان يرى هذا الرأى ، ويعتقد هذا الاعتقاد إلا انهم كانوا قليلين معدودين خافتى الصوت مقهورين وممن لا يعبأ بهم كثيرا ، ولا يؤثر انكارهم تأثيرا كبيراً ، ولكنّ فى هذا القرن العظيم ، والعصر الفخيم . قرن طلوع نور الانوار ، وعصر ظهور الرّب المختار بسبب اتساع دائرة المعارف والعلوم المادّية بجميع اقسامها وتعميم التعلم والتعليم فى كل الممالك والانحاء يرى العاقل ما يدهشه من كثرة من ينكر جميع الانبياء . ويعترض على الاديان النازلة من السماء . بل ينكر بكل وقاحة وجود الواجب تعالى . فانه ظهرت فى هذا القرن الاخير فى كل اقطار العالم خصوصا فى أوربا وأمريكا نفوس كثيرة يتجاهر أصحابها بهذه العقيدة

الفاسدة . وتعلم وتعلن بهذه المسألة الباطلة . وزهت ونمت بألقاب متنوعة . واسماء متعددة جمعيات كبيرة تنكر ما وراء الطبيعة . وتتفاخر بآرائها الفظيعة . فيخرج كل سنة من المدارس جيش عرمرم من الشبان . متقلدين أسلحة العقائد الطبيعية . شاهرين سيوف البراهين المادية . هاجمين بها على العقائد الدينية . ساخرين بكل سيادة روحانية هادمين بها معالم الانسانية — ولقد أخبر الرسول المجتبى بطرس القديس في رسالته الثانية عن ظهور هؤلاء المنكرين واذعان الكثيرين لتعليماتهم وتهافت الناس على قبول شبهاتهم . كما أخبر عما سيحل بهم من غضب الله وسطوته . وينزل بساحتهم ما يبيدهم من سخطه ونقمته . ولم ينكر هؤلاء المتفلسفة بشارات الانبياء عليهم السلام ، ولم يردوها ولم يستهينوا بها الا لعدم بلوغهم الى مقاصدها ومعانيها ، وقصور انظارهم عن الوصول الى حقائقها ومراميها . فانهم أيضاً مثل اليهود حملوا تلك الالفاظ على معانيها الظاهرية . فوجدوها مباينة تمام المباينة مع مباديهم العلمية . ومناقضة تمام المناقضة مع أصولهم المؤيدة بالبراهين القطعية . فلم يشكوا ولم يرتابوا في انها كلها أوهام وخيالات ، وتغريرات وتسويلات . وسفسطة ومحاولات * مثلاً حملوا لفظ السماء الوارد في كلمات الانبياء عليهم السلام على هذه السماء الظاهرة . فلم يشكوا في أن الوعد بانفطارها وتبديلها بسماء أخرى انما هو من الامور المستحيلة . وحملوا لفظ الشمس على هذه الشمس المعلومة . فلم يرتابوا في أن ظلمتها وذهاب

نورها بغير أسباب الكسوف ، وحيلولة شيء دونها من الامور الممتنعة ـ وكذلك حملوا الفظ القمر والنجوم على ماهو معلوم لدى العموم. فرأوا ان سقوطها وانتشارها وتبددها وذهاب أنوارها يقضي على فساد الكون . وهدم العالم الاكبر . فلا يعقل بعد بقاء نوع الانسان ليتحقق النعيم والجحيم. والربح والخسران ، فأيقنوا أن هذا أيضاً أمر مستحيل غير معقول . ووعد ممتنع غير مفعول ـ وهكذا سائر البشائر والوعود من قبيل الصعود الى السماء . والطيران في الهواء . وقيام الاموات من التراب بعد ما بليت منها العظام . وتفرقت منها الاجزاء ـ اذ كل ذلك بزعمهم مخالف للبراهين القطعية . ومناقض للنواميس الطبيعية ومناف تمام المنافات مع المبادي التي قضت بها القضايا الضرورية . ومن أعجب العجائب التي يعدّها العاقل الملتفت الى مقاصد الانبياء أيضاً من عظيم آثار ختم الله على القلوب والابصار هو أن هؤلاء الفلاسفة لم يفتكروا يوما ما انه ربما تكون لتلك الالفاظ معان غير ظواهرها العرفية . ومقاصد غير مفاهيمها الظاهرية من قبيل الاستعارة والتشبيه والمجاز من أنواع البيان كما هو شائع ومعمول بل مستحسن ومقبول عند جميع أهل اللسان ، وعلماء اللغة في جميع الازمان . عليهم ان لم يحفظوا نفوسهم من حلول السخط الموعود بهم ، ونزول الغضب المهين عليهم فليحافظوا على شرف علمهم ونباهتهم لئلا ينظر الناس اليهم بعدهم بنظر الاحتقار والازدراء كما ينظرون اليوم هم بأنفسهم الى عقائد مَن

سبقهم من الفلاسفة والحكماء *

فاذا امعنتم النظر ايها الابرار فيما ذكرناه بالتفصيل من المصائب والبلايا التى حلت بالامم بسبب عدم فهم معانى تلك البشارات والاذعان والايمان بها من جهة ، وتكذيبها وانكارها من جهة أخرى تعرفون أنها كانت أعظم عقدة وقعت فى سلسلة افكار الامم من حيث دياناتها وعقائدها . فعجزت عقول أعظم الرجال نباهة وفطانة عن حلها وتفكيكها ، وأوسع وهدة وقعت فى سبيل تقدم أهل العالم من حيث معارفها وروحانياتها خارت قوى أكبر الناس قوة ودراية عن الخروج عن مضيقها وشباكها ، ولكن الله تعالى باحاطة جوده وسعة رحمته وكمال احسانه ، وسبوغ نعمته فى هذا القرن الذى فاق بانواره جميع القرون والازمان ـ أنزل كتاب (الايقان) وأكمل بتنزيله فضله واحسانه على نوع الانسان . فبين فى هذا الكتاب الكريم والسفر العظيم . والرق المنشور ، والدر المنثور ، وأول نفحة سماوية نفحت وهبت من مهب عناية الرب الغفور . جميع الحقائق النازلة على الانبياء والمرسلين ، وفك به ختوم الاصفياء والنبيين ، وحل به العقد العويصة المعضلة الغامضة التى عقدتها أنامل السابقين الاولين . ففتح على أصحاب العقول العالية والنفوس الرائقة باباً من جنان المعارف الالهية . فشاهدوا فى خلالها أورادا مفتحة ، وزهورا غضة ، ورياحين ناضرة من المعانى التى يطمئن بها العقل المنير والقلب الفهيم ، وجرى

من معين قلمه أنهار من الحقائق السماوية . فشربوا من زلالها أكواباً وكؤساً من الحقائق التي يسكن بها ظمأ الذوق الصحيح ، والادراك السليم ، وتلا على مسامع أصحاب الآذان الواعية مثاني من المزامير الملكوتية . فاستمعوا من نغماتها أنغاماً تصبوا اليها الروح الزكي والفؤاد المنير ، وهيأ المنتخبين والمختارين مائدةً سماويةً ، وأغذية روحانية يشتهيها ويستلذ منها كل ذوق سليم وشخص بصير . وبعبارة أوضح بين الآيات والبشارات التي عجزت عن حلها العقول ، وتحيرت في فهمها النفوس معاني معقولة يقبلها كل ذوق سليم ، ويفهمها ويطمئن بها كل عقل مستقيم . ففسر الآيات العظيمة التي أشرنا اليها مراراً من قبيل انفطار السماء وتبديلها وظلمة الشمس وتكويرها ، وسقوط النجوم وانتثارها ، وتزلزل الارض بجميع اقطارها ، وقيام الاموات وحشر الرفاة ، وتجديد الارضين والسموات وغيرها من الملاحم والامارات أحسن تفسير ، وبينها أوضح تبيين حُلّت به عقال العقول . وزالت به ظلمات النفوس . فآمنت بسببه آلاف من اليهود والمجوس وغيرهم من الامم والشعوب من الذين كانت الآيات المذكورة أعظم عثرة قدامهم ، وأكبر مانع لايمانهم ، وكانت عداوة سيدنا المسيح له المجد وغيره من كبار الانبياء عليهم السلام بسبب عدم فهم معاني تلك الآيات راسخة في قلوبهم . وبغضهم وانكارهم متمكناً في صدورهم فتبدلت بسبب الايقان المقدس عداوتهم بالمحبة وبغضهم بالمودة .

وجفاؤهم ونفورهم بالولاء والألفة ـ اذ زال ذلك الحاجز الثقيل من قدامهم . وانقشعت تلك السحب المظلمة من أمامهم ـ وهكذا فتحت بهذا الكتاب المتين والنور المبين أبواب التآلف والتودد بين الملل أجمعين . وزالت وسائط التنافر والجفاء من بين العالمين . والحمد لله مالك يوم الدين . وفاطر السموات والارضين *

فاذا عرفتم أيها الابرار مقدار عظمة المصائب التي حلت بالامم والملل بسبب الشبهات المذكورة التي مر ذكرها وتفصيلها يمكنكم أن تعرفوا مقدار عظمة رحمة الله على عباده بتنزيل كتاب الايقان فانه جلت عظمته ، وأحاطت قدرته بين في هذا اللوح المبارك المنير جميع الشبهات التي تمسكت بها الامم في رد الانبيا والمرسلين . وأجاب عنها بأوضح بيان وأكمل تبيان . وبرهن واستدل عليها باتم دليل وأجلى برهان . فأوضح معنى أبنية الشرائع والديانات ، وبين المعاني المقصودة من العلائم والامارات . وكشف عن مقاصد الانبياء من ألفاظ الرجعة والبعثة والقيامة وما يتبعها من العذاب والثواب . والنار والجنة وغيرها من الوعود والبشارات ـ أو الوعيد والانذارات . كل ذلك ببيانات واضحة يفهمها ويقتنع بها كل طالب مجاهد غير متعنت ، وادلة ظاهرة يخضع لها ويستهدى بها كل ناظر منصف غير متعصب وعبارات بسيطة رائقة يدرك معانيها . ويطلع على مقاصدها كل مطالع غير مجادل ، واستشهادات قريبة يجد مواردها ومدار كها

كل متفحص غير محاول ؛ ولما كان المقصد من تأليف كتابنا هذا هو تفسير بشارات الكتب المقدسة السماوية على وفق ما نزل فى كتاب الايقان ، ومنطبقا على ماجرى به قلم الرحمن فلا بد لنا أن نتكلم أولا فى بعض مطالب كلية يتوقف عليها فهم آيات الكتب المقدسة وحلُّ ألغازها ورموزها ، وفك اختامها وفتح كنوزها ليسهل على كل طالب سبيل الوصول اليها ، ويقرب لكل قاصد طريق الاطلاع عليها *

ان الانبياء عليهم السلام كانوا كثيرا ما يستعملون فى نطقهم وبياناتهم مع محافظتهم على البساطة الدّارجة أنواع المجازات والكنايات ، ويزينون عباراتهم الرائقة اللطيفة بفنون الاستعارات والتشبيهات. فانظروا فيما قاله السيد المسيح له المجد مخاطبا لليهود (إهدموا الهيكل أنا أبنيه بعد ثلاثة أيام) كيف أطلق لفظ الهيكل على بدنه المقدس مجازا واستعارة حتى ان كل المستمعين من تلاميذه وأصحابه لم يفهموا منه أوّلا الا هيكل سليمان ــ وكذلك ماجاء فى الاصحاح الثامن من انجيل متّى فى الآية (٢١) حيث قال (وقال له آخر من تلاميذه ياسيد إئذن لى أن أمضى أولا وأدفِن أبي . فقال له يسوع اتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم) فأطلق سيدنا المسيح فى هذا المقام لفظ الموتى على الاحياء بالجسد أيضاً على سبيل الاستعارة ــ وهذه القاعدة مطردة عند الانبياء عليهم السّلام جميعا فانهم يعتبرون الاحياءَ الاحياء بالرّوح لا بالجسد . وان كانوا فى الظاهر خالين عن كلّ مزية دنيوية

من قبيل الثروة أو العزة والسلطة والفخفخة الملكية أو المعارف والعلوم الكسبية التحصيلية . ويعتبرون الاموات أيضاً الاموات بالرّوح وان كانوا فى الظاهر متحلّين بكلّ مزية جسمانية ، ومغبوطين بكلّ عزّة دنيوية * فانظروا فى الاصحاح الثامن عشر من كتاب حزقيل النبيّ عليه السلام انه أطلق لفظَ الميت على أصحاب المعاصى والآثام وأطلق لفظ الحيّ على المتبرىء منها فى مواضيع متعددة من هذا الاصحاح الى أن قال أخيرا فى الآية (٣١) (اطرحوا عنكم كلّ معاصيكم التى عصيتم بها واعملوا لأنفسكم قلباً جديدا وروحا جديدة فلماذا تموتون يا بيت اسرائيل لانى لا أسرّ بموت مَن يموت يقول السيد الرب فارجعوا واحيوا) وقال أيضاً فى الآية (١٠) من الاصحاح العشرين من هذا الكتاب (فاخرجتهم من أرض مصر وأتيت بهم الى البرية وأعطيتهم فرائضى وعرّفتهم احكامى التى إن عملها انسان يحيا بها) الى أن قال فى الآية (٢٥) من هذا الاصحاح (وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة واحكاما لا يحيون بها) ومن تأمل فى هذا الاصحاح يرى أن حزقيل عليه السلام أراد بالحياة فى الآيتين الحياةَ الروحانية لا الحياة الجسمانية التى هى المعنى الظاهرى والمفهوم اللّغوى من لفظ الحياة . وامثال ذلك كثيرة فى الكتب المقدسة لا تخفى على من تتبعها وأمعن النظر فيها . وقد أطلق واستعمل سيدنا المسيح له المجد لفظَ الكرم على نفسه المقدسة ، ولفظ الكرام على الرب تعالى . والاغصان على تلاميذه

الاثنى عشر على سبيل الاستعارة أيضا كما جاء مصرحا فى الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا حيث قال عليه السلام فى الآية الاولى (أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرّام) وقال فى الآية الخامسة (أنا الكرمة وانتم الاغصان) وهذه هى أيضا قاعدة مطردة بين الانبياء عليهم السلام وهى أنهم كانوا يشبهون أمر الله تعالى فى كل ديانة بالشجرة المباركة على سبيل الاستعارة كما كانوا يشبهون اعداء الله بالشجرة الخبيثة والشجرة الملعونة . فكانوا يعبرون عن مظهر أمر الله ، وشارع الديانة بأصل الشجرة ، وكبار أصحابه وتلامذته والقائمين على نشر أمره واعلاء كلمته باغصان تلك الشجرة . وعن عموم المؤمنين به والمتنقين لديانته بأوراق الشجرة - وبهذه المناسبة قال السيد المسيح له المجد (أنا الكرمة وانتم الاغصان) وبهذه المناسبة أيضا جاء فى الاصحاح الحادى عشر من كتاب اشعيا النبى عليه السلام (ويخرج قضيب من جزع يسى وينبت غصن من اصوله . ويحلّ عليه روح الرب . روح الحكمة والفهم . روح المشورة والقوة . روح المعرفة ومخافة الرب) حيث أطلق لفظ جذع يسى على منبت السدرة المباركة ولفظ الغصن على الفرع الكريم المنشعب من الاصل القديم . وفى القرآن الكريم فى آية (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو

لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس بكل والله شيء عليم) أطلق لفظ شجرة مباركة زيتونة على مظهر أمر الله ، ومطلع شمس حقيقته وذاته ومشرق أنوار أسمائه وصفاته . فان من هذه السدرة المباركة وحدها تتألق وتضيء الانوار الالهية ، وتشرق وتلمع أشعة العلم والقوة والقدرة الملكوتية السماوية — وهذه استعارة فى غاية الرقة واللطافة ، وتجوز فى نهاية اللطف والبراعة لم يوجد مثلها الا فى الكلمات النبوية ، ولم يسمع شبهها الا من نغمات طيور القدس فى الحدائق القدسية — وكذلك فى سورة بنى اسرائيل أطلق لفظ (الشجرة الملعونة) استعارة على اعداء الله ومحاربى رسوله من السلالة الاموية ، والسلطة المغضوضة السفيانية حيث قال جل وعلا (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) *

وخلاصة تفسير الآية الكريمة أن الرسول عليه السلام رأى فى المنام ان اشخاصا مثل القرود يطلعون على منبره وينزون على مقام خطابته نزو القرود على الاشجار . فلما استيقظ أزعجته الرؤيا فان رؤية القرود فى المنام تنظر بالخطر الشديد والدواهى المخفية كما هو واضح لدى من له المام بتأويل الاحكام . خصوصا رؤيا الانبياء عليهم السلام . فانها تعد من أنواع الوحى والالهام . فاخبره الله تعالى بان أمته سوف تبتلى بأشد أنواع الفتن ، ويصادفها أمر اقسام البلايا والمحن ، والخلافة النبوية التى

هى أعظم وسائل انفاذ الكلمة الالهيّة ، وأكبر وسائط تربية الامة في مناهج الخلائق السامية الانسانية ، وأنجح الاسباب فى ترقيتها الى معارج العزة والحياة الابدية . سوف تستولى عليها العصبة الخبيثة السفيانية، وينقضّ على رمة تلك الامة بغاث درجت من العشة الدنيئة المروانية ، ويجلس على عرش الخلافة أبعدهم عن الفضائل ، وأعمقهم فى الرذائيل ، وأجهلهم بالمعارف ، وأعشقهم بالزخارف ، وأخبثهم فى العادات ، وأكثرهم انهما كافى الشهوات . فيقهقرون الامة الاسلامية الى الكفر بعد الايمان ، والى المعاندة بعد الانقياد والاذعان ، والى التشتت بعد الاجتماع ، والى الافتراق بعد الاتفاق ، والى المجانبة والجفاء بعد المودّة والولاء . فتعصف بهم زوابع الغارات والحروب ، وتشتدّ عليهم عواصف المحن والكروب ، فيحلّ بهم أشد أنواع البلاء ، ويتسلط عليهم ألدّ الاعداء ، ويُحيط بهم ضروب الذلّ والبأساء ، والسبب الاعظم لضرّهم وابتلائهم وعظيم محنهم وبلائهم هو انقيادهم لرؤسائهم ، واتباعهم الاعمى لعلمائهم فانه يترأس عليهم فى أمر دينهم فئة خبيثة من العميان من جهلة الاغبياء وشرار الفقهاء ، وأهل الهوى والضلالة من العلماء . فيقودهم هؤلاء الجهال الى هاوية الضلال ، ويجرونهم الى مهاوى أشر الاعمال حتى ينتهى الى الهلاك والدمار ، ويتم فيهم نبأ الرحمن فى الفرقان (وأحلوا قومهم دارَ البوار) فلما أوحى الى الرسول عليه السلام تأويل رؤياه كما بيناه أخذته الاحزان ، واستولت

عليه الاشجان ، وكان طول أيام حياته تتضوع من وجنات حالاته نفحات الوجدوالهموم ، وتلوح وتبدو من شمائله آثارالكآبة والغموم ، حتى روى الشيخ كمال الدين الدميرى صاحب كتاب (حياة الحيوان) فى ترجمة القرد حديثاصحيحا عن المستدرك مخبرا عن الرؤيا وتأويلها مصرحا فى آخر الحديث انه عليه السلام (مارؤى ضاحكا مستبشرا الى أن مات) وكيف لاتحيط أنواع الهموالحزن بمجامع قلبه المقدّس وهويرى بعينه عواصف الفتن المدمّرة التى ستحيط بشريعته المقدسة التى كانت أتقن الشرائع والاديان فتزعزعها من أساسها ، والمصائب الفاجعة التى ستنزل على عترته الطاهرة الذين كانوا مثال الشرف والطهارة ، وأليق أهل الارض بالخلافة والامارة . فتشتتهم وتستولى عليها أجلاف الامم واشرارها ، والغفلة والجهالة التى ستستولى على أمته التى كانت خير أمة اخرجت للناس فتوقعها فى ذلة وخمول وسُبات ، وذهول ، وتقاطع وانقسام ، وتحزب وافتراق يوردها مورد الدمار ، ويحلها دار البوار كما ظهرت طلائعها ، وبدت علائمها ، وحان أوانها ، وحلّ وقتها وزمانها فى هذا القرن الذى هو قرن ظهور الأسرار وبروز الآثار ، ويوم تتقلب فيه القلوب والابصار *

وخلاصة القول إن الله تعالى أطلق فى هذه الآية الكريمة المذكورة لفظ (الشجرة الملعونة) على العصبة الاموية على سبيل الاستعارة وكان هذا التفسير من المسائل المسلمة فى القرون الاولى من التاريخ

الهجرى عند أكثر المفسرين إلا أن بعض علماء أهل السنة والجماعة من الذين أرادوا أن يستروا قبائح الخلفاء الامويين ويفتخروا ويتباهوا بفتوحات المروانيين شوهوا وجه المقصود من الآية الكريمة ، وحرّفوها عن موضعها ، وفسروها على غير وجهها . فذكروا لها معانى مضحكة ووجوها باردة ، وتفاسير ركيكة ، ولكن كل ذلك الجدّ والجهد والتمويه والتحريف لم يمنع أهل العدل والانصاف عن الجهر بالحق والاذعان للحقيقة . فقد ذكر العالم المؤرخ الشهير أبو الفدا الحموى فى حوادث سنة (١٨٩) ان هارون الرشيد وهو أشجع الخلفاء العباسيين وأشهرهم وأشدهم نكاية فى آل الرسول عليهم السلام رحل من الرى ودخل مدينة بغداد ولم ينزل فيها ومضى من فوره الى الرقة . فقال فى ذلك بعض الشعراء *

ما أنخنا حتى ارتحلنا فما نفـ * ـرّق بين المناخ والارتحال

سائلونا عن حالنا إذ قدمنا * فقَرنا وداعهم بالسؤال

فقال الرشيد (والله انى لأعلم ما فى الشرق ولا فى الغرب مدينة أيسر من بغداد وانها دار مملكة بنى العباس ولكنى لا أريد المناخ على ناحية أهل الشقاق والنفاق والبغض لأئمة الهدى والحب لشجرة اللعنة (بنى امية) ولولا ذلك مافارقت بغداد) *

وقال أيضا هذا العالم المؤرخ الشامى الذى ما كان متهما قطّ بمحاباة الامامية فى ذكر حوادث سنة (٢٨٣) ان الخليفة العباسى

المعتضد بالله أمر بكتابة فرمان ليقرأ على الناس، وكان من جملة ما كتب فيه قال الله تعالى (والشجرة الملعونة فى القرآن) اتفق المفسرون على أنه أراد بها بنى امية فيعلم من هذا ان المفسرين كانوا متفقين على هذا المعنى الى القرن الثالث، وفى القرون الوسطى شرعوا فى التحريف والتمويه وقلب المعنى * وقال أيضا فى حوادث سنة (٤١) من الهجرة نقلاً عن كتاب الكامل لابن الاثير إن حسن بن على عليهما السلام لما سار من الكوفة بعد ما صالح معاوية وسلم الخلافة لبنى امية عرض له رجل فقال له يامسود وجوه المؤمنين. فقال لا تعذ لنى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى فى منامه ان بنى امية ينزون على منبره رجلا فرجلا فساءه ذلك. فانزل الله تعالى (انا اعطيناك الكوثر) و(إنا انزلناه فى ليلة القدر. ليلة القدر خير من الف شهر) يملكها بنو امية انتهى: وأمثال ذلك يوجد كثيرا فى مصنفات أهل العلم والنصفة من الذين كانوا يهمهم الحق والانصاف أكثر من التمويه والتحريف والضغط على العقائد واغتصاب الافكار. ولكن أكابر العلماء وأصحاب الفتوى من الذين كانت لهم السطوة العظمى على عقول الشعب الاعمى، وجدوا طريقة أخرى وحيلة أقوى لستر الحقائق حيث حكموا بعدم جواز قراءة الكتب التاريخية، ومنعوا عن التكلم فى أعمال الاقدمين لئلا تظهر معائب بعض الصحابة، ولئلا يطلع الناس على ما وقع بينهم وصدر منهم الا ان هذا الحكم

جاء موافقا لأميال سائر الامم ممن كان يهمهم سقوط المسلمين فى وهدة الغفلة والجهالة ، والخمول والخمود فأوردت رؤساء هذه الامة التعيسة المغرورة أتباعهم الى مهاوى الردى ، وأوقعتهم فى هاوية الجهل والعمى . فأظلتهم غيوم التعاسة الكبرى ، واستولت عليهم ظلمات المخاوف العظمى . مما يئن اليوم تحت ثقله علماؤهم وجهلاؤهم ، ويتململ من شدة وطأته أتباعهم ورؤساؤهم ، ويتحير فى الخروج عن مضيقه دهاتهم وعقلاؤهم ، وعجزت عن وجدان طريقة للخلاص من أدوائه عرفاؤهم وحكماؤهم ، وحاشا ان يجدوا مفرًا مما مهدته لهم أسلافهم ، ومهربا مما هيأته لهم أخلافهم الا أن يضعوا عن أعناقهم ثقل العصبية الجاهلية ، ويخرجوا أنفسهم من يحموم سموم الدوحة السفيانية ويتفيئوا ظلال السدرة المباركة الالهية ، ويستظلوا من ظلال الفرع الكريم المنشعب من الدوحة القديمة الرحمانية

فلعمر الحق قد ضاق المجال ، وأحاطت

الاهوال ، ودنت أوان انقضاء الآجال

وظهر غرور الانفس الملتهية بسراب

الآمال . ان ربنا لبالمرصاد

وانه لشديد المحال *

﴿ تم ﴾

﴿ طبع باجازة المحفل الرّوحانى المركزى بمصر ﴾

﴿ فهرست كتاب ﴾

﴿ الحجج البهية ﴾

صفحة

المقصد الثانى

صفحة

المقدمة الرابعة

المقدمة الخامسة

(تم)